تفسير

جزء عم وجزء تبارك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية ـ صعده

ت: ٥٦٣١٥٠

تفسير

جزء عم وجزء تبارك

تأليف

القاضي العلامة المجاهد

صلاح أحمد فليتة

مكتبة التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، وبعد:

فإن أقرب الطرق إلى تأليف المسلمين، وجمع كلمتهم وتوحيد صفهم، العمل على بما أنزل الله في القرآن الكريم، والتمسك به والاقتداء به واتباعه قبل كل دليل لأنه المنهج الإلهي، والموصل إلى كل خير ونجاح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] هذا وهو الدستور الإلهي، الذي يفيض بالخير والحكمة، على القلوب المؤمنة، إنه عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا تنقضي عجائبه، ولا تنفك غرائبه ولا يخلق من كثرة الرد، لا يمل قارئه ولا يسأم، فسبحان الله القوي القاهر والعزيز القادر، هذا ولما تضمن الجزآن الأخيران جزء عم، وجزء تبارك، من المواعظ والترغيب، والترهيب، والحث والإزعاج الذي يصدع القلوب، من ذكر الجنة والنار، وما إلى ذلك رجحت أن أقوم بتفسيرهما باختصار تقريباً للمقتدين، وترغيباً للراغبين وتسهيلاً للمقبلين على القرآن، وفي هذا فائدة عظيمة، وعائدة جسيمة يعرف ذلك المطلع، ولأنه يكثر قراءة السورة الصغيرة،

والقصيرة، في الصلاة، وفي ذلك فائدة حينما يعرف معاني الآيات، وإني أرجو الله أن ينفع به الطالبين والمطلعين على ذلك، وأن يجعله من العمل الخالص المرغوب، والله هو ولي التوفيق ولا قوة إلا بالله. وهذا أوان الابتداء مستعيناً بمن ملكه لا يزول والحمد لله رب العالمين.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم

تفسير سورة (الفاتحة)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بسم الله البا حرف جر، ولا بد لها من متعلق، فيجب أن يكون المتعلق متأخراً، وهو أبتدىء ببسم الله، واسم الله هو لفظ الجلالة، لأنها اسم لذات تجمع صفات الكمال و﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صفات له مخصوصة به أما (رَّحمن) فلا تطلق إلا على الله وأما (رَّحيمِ) فيجوز إذا كان مضافاً، يقال: رَحِيمٌ بأهله، وهما موضوعان له تعالى قيل حقيقة لفعل الإحسان الكامل، والنعم الشاملة، لجميع المخلوقات، وقيل مجاز لانها حقيقة لذي الشفقة واستعملت لله مجازاً لفعله ما يفعله ذو الشفقة البالغة والأول أولى، ونعمه ليس لها حصر، ولا تقاس بقياس ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ هذا تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مع اختصار، وقد جمعت معاني كثيرة، حيث إنه ذكر اسمه جل وعلا، وصفاته البالغة، ولهذا كان لها دور عظيم في وجوب الإبتداء بها في بعض المواضع

والندب في مواضع أخرى، وورد فيها أن الابتداء بها، تحصل البركة. وورد «كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه باسم الله فهو أبتر» وغير ذلك.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الحمد هو الوصف الجميل، وضع مقابل جميل اختياري، وهي النعم والحمد يشمل الشكر وقيل: إن الشكر، لا يحصل إلا بثلاثة وهو:

[باللسان، والجنان، والأركان] كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد قيل: إن **الحَمدَ** أخص مورداً، وأعم متعلقاً، لأنه يقع على النعم وغيرها، والشكر أعم مورداً، وأخص متعلقاً، لانه بالثلاثة المذكورة، ولا يقع إلا على النعم ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرب هو المالك العظيم، ويطلق على غير الله كما يقال: رب الدار وهو المالك لجميع المخلوقات الذي ليس فوق ملكه شيء، ولذا قيل: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والعالمين هو الثقلان وكل المخلوقات، والعالمين جمع عالم جمع لفظي فقط، لأن العالم والعالمين معناهما واحد، كذا نص عليه الإمام أحمد بن سليمان وغيره، وقيل: إن لله عوالم كثيرة والله أعلم.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرها قال في المصابيح: الرحمن هو ذو العفو والمن والإحسان.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو العفوّ عن الذنب العظيم، والناهي عن الظلم والفساد، لما في ذلك من رحمته للعباد.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء. وسمي يوم الدين؛ لأنه يقع فيه المداينة وهي المناصفة والمجازاة، ويدان الناس بأعمالهم، أي: يجازون وهو المالك لذلك اليوم لا غيره، ينادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد غيرك، وتقدم المعمول وهو إياك دليل على ذلك؛ لأن

تقديم المعمول يفيد الاختصاص، وهو أنه لا يستحق العبادة إلا هو، وهو الأهل لأن يعبد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نستعين إلا بك، وهو كذلك لتقديم المعمول، أي نستعين به فيجب على العبد أن يعرف ذلك، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله الواحد القهار، ولا يستعان في المهمات إلا به جل وعلا، فلا يستعان في جميع أعمالنا إلا به، ولا عون إلا منه، ولا حول ولا قوة إلا به.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثم نتوجه إلى الله بالدعاء على الهداية إلى طريق الحق. والهداية، [التنوير والتبيين]، والصراط المستقيم، صراط الحق المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآيات وفي مفهومها أن هناك طرق غير مستقيمة، والمستقيم هو الذي ارتضاه الله لخلقه، وقد ذكر أن الطريق المستقيم هي طريقة آل محمد، وعلى ذلك أدلة كثيرة لا يمكن إيرادها هاهنا، والأمر واضح، ووصف الله ذلك الطريق بقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين هديتهم، وهم الصالحون من عبادك ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين قد غضبت عليهم لسلوكهم طريق الغواية والضلال ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين سلكوا طريق الضلال، وقد قيل: إن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، وليس بعيد لأن ذلك أخذ من القرآن لقوله تعالى في اليهود: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وفي النصارى قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ولا قوة إلا بالله.

* * *

تفسير سورة (الناس)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ تفسير بسم الله الرحمن الرحيم تقدم، وفي هذه أمر الله تعالى عباده رحمة منه وفضلاً أن يستعيذوا به من شر كل ذي شر، والرب هو المالك العظيم والمعين، اعوذ أي: أستجير وألوذ بالرب العظيم الموصوف بأنه إله الناس، ومعنى إله هو الذي تأله إليه القلوب وهو أن يجيرنا ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: من شر الوسوسة، وقيل: إن الوسواس اسم للشيطان الرجيم، مبالغة لأن الوسواس فعله، كما يقال: رجل عدل، أي: عادل، ووصف الوسواس بأنه الذي ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: في قلوبهم من إطلاق المحل على الحال كما قيل.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ دليل على ان شياطين الإنس لهم دور وتأثير في ذلك قال في الكشاف: [بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي، كما قيل: شياطين الإنس والجن، ويسمى الشيطان جنيا لإجتنانه عن الابصار يعني: أنه لا يرى، وسمي الخناس لأنه يخنس عن الناس، أي يغيب فلا يرى، وسمي الناس ناساً لإيناسهم؛ لأن الإنسان يأنس بمثله]، والخلاصة في هذه السورة أن المعنى: أني أستجير، وألوذ بالرب العظيم الذي خلق الناس، وقدر أمورها وأحوالها، وحفظها من شر شياطين الجن والإنس،

ومن وسوستهم بالإغواء، لأنهم يحببون الى الناس المعاصي، ويزينون لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وله وسائل في الإغواء كثيرة يعمل لكلٍ بما يليق، ويحسن لكل ما إليه يحبه، ولذلك شرح واسع وكلام رائع تركته اختصاراً.

* * *

تفسير سورة (الفلق)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ تقدم أنه أمر من الله، وإرشاد من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، وهو إرشاد من الله ورحمة أن يستجيروا، ويلوذوا برب الفلق، والرب هو المالك العظيم كما تقدم، ومعنى الفلق هو انفلاق الفجر أي: رب الفلق الذي فلق الصباح وأوجده، وهو الرب العظيم جل وعلا أي: أني أستعيذ برب الفلق أو نستعيذ بمن فلق الفلق ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من جميع خلقه أي: من شرهم لما يفعلونه من المعاصي والمآثم، وظلمهم من بعضهم البعض من بغيٍ وتعدٍ من قتلٍ وضربٍ وغير ذلك، من أنواع الظلم، ومن الوحوش والحشرات، وما تفعله من الأكل، واللدغ، واللقص، والسحر، والعض، وغير ذلك. وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ والغاسق هو الليل لأنه يغسق بظلامه، ويملأ الأرض ظلمة كغسق الإناء أي امتلائه، وغسقت الجراحة أي: امتلأت دماً، ووقب ثبت ووجب بمعنى دخل ظلام الليل، وقد قيل: إن الفلق وادٍ في جهنم، وقيل: الفلق الخلق والمراد بذلك الاستعاذه من جميع خلقه في الليل والنهار، وما يقع فيهما من الشرور، وشر الليل أكثر لخفايته، والتحرز فيه صعب شديد، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل، وقولهم أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغَدَر، والغدرُ أفاد ذلك في الكشاف وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي: السواحر اللواتي يعقدن العقد، وهي خيوط يعقدونها وينفثون فيها، والنفث النفخ مع ريق، وليس لهم فعل إلا الأسباب

المذكورة، ويفعل الله ذلك أي: الضرر ابتلاء وامتحان، والاستعاذة من ذلك هو ما يحصل من الله من الإبتلاء عند نفثهم.

قال في الكشاف: ويجوز أن يراد بذلك من كيد النساء، الذي قال الله فيهن ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، لشبههن بالسواحر، يشبه كيدهن بفعل السواحر، أو من اللاتي يتعرضن للرجال بمحاسنهن لأنهن يفتن، وكل ذلك صالح، والاستعاذه من ذلك حسن، ثم أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ لأن شر الحاسد عظيم لأنه يتربص الغوائل، ونزول الضرر بالمحسود، ومعنى إذا ظرفية بمعنى عند أو حين، وقيل: المراد بشر الحاسد إثمه وإظهار أثرة، وليس من الحسد ما يحصل بين المؤمنين من الغبطة حينما يرى بعضهم من أفعال الخير، وهي في اصطلاحنا يقال لها: الغيرة لأنه يحب أن يفعل مثله، ولذا قال الرسول ﷺ: «لا حسد إلا في إثنتين» ولذا قال الشاعر:

وإني لمحسود وأعذر حاسدِي ... وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال أخر:

واعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلا حسن في مثلها الحسد

* * *

تفسير سورة (الإخلاص)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو ضمير الشأن المفسر بجملة اسمية وهي قوله: الله أحد؛ لأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهي محط الإفادة، وهي هنا أن الله موصوف بأنه أحد، ومعنى أحد أنه المختص بصفات الكمال، والعزة والجبروت جل وعلا وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: المصمود في الحاجات المقصود لتفريج كل المهمات، وهو المتوحد بالإلهية، ويصمد إليه المخلوقون لا يستغنون عنه في كل لحظة فهو الغني العظيم. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي لا يشبه المخلوقين في هذه الصفات لأنها من صفات الأجسام والله ليس بجسم. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فلا يوصف بولد، ولا مولود جل وعلا، وتقدس ربنا عن صفات المخلوقين.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وصف له بالقدم والأولية ولم يولد نفي الشبه والمجانسة وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وفي ذلك قطع أنه الغني عن كل أحد ومن كل كفؤ وند، وقد شملت السورة صفات الله تعالى بأنه خالق الأشياء وفاطرها، وذلك يستلزم العلم والقدرة، ويفيد أنه سميع بصير لنفي الشركاء، وكونه مصموداً فهو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، بل نحتاج إليه، ولم يلد لأنه قديم، ولم يولد لا يشبهه شيء ولم يشبه شيئاً ليس كمثله شيء

ولذلك كله وصفت بالفضل العظيم، وأن فضلها يشمل القرآن كله لما فيها من صفات التوحيد الذي هو أفضل العلوم. ولذا قال ﷺ:

(إن علم التوحيد من الله بمكان) لأنه يشرف الشيء بشرف معلومه، فالله عظيم بكل ما تحمله الكلمة من العظمة له لا يساوى، ولا يبلغ معرفة كنة العظمة إلا الله تعالى، وفي فضلها أحاديث كثيرة ليس هذا موضعها والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (تبت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: هلكت يدا أبي لهب، لأن التب هو الهلاك وخسرت، وشلت، وخابت، وهلكت، واليدان هما المعروفتان، وذلك مثل كان يضرب به لمن خاب وخسر، فيما طلب أو يطلب، وهو أبو لهب وهو عبد العزّىَ بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ولم ينفعه قربه من رسول الله وقوله: ﴿وتب﴾ أي: هلك كله، وهي توكيد بمعنى وقع. وقيل: إن الرسول ﷺ، جمع عشيرته وانذرهم وأعلمهم بأنه رسول من الله، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا! فنزلت:

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ ما يدفع عنه شيء من عذاب الله.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيصلى هو وامرأته ناراً ذات تلهب لا تطفأ نار عظيمة التلهب، وامرأته أم جميل بنت حرب، فهي أخت أبي سفيان بن حرب شجرة ملعونة ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ وقيل انها كانت تحمل حزمة من الشوك، والحسك، والسعدان، فتنثره ليلاً في طريق رسول الله ﷺ، وقيل: إنها كانت تمشي بالنميمة لتفسد بين الناس، وكنّي بالحطب، لأنه يوقد النار ويورث الشر. وقوله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبل من مسد، أي: من ليف المعروف، وهو الحبل الذي كانت تحمل به الحطب والشوك، والمراد به الذم والتحقير، لشأنها لأنه وصفها بالحطّابين الضعفاء،

ليمتغض بعلها، لأنهما في بيت الشرف، وفي منصب الثروة، فكان ذلك تحقيراً، وذماً لها ولزوجها، وما أعظم ذلك من ذم، حينما حكم عليهما بالنار، وفي جيدها سلسلة من النار بدل الحبل، الذي كانت تؤذي به رسول الله ﷺ، وفي ذلك مناسبة كما قيل: الجزاء من جنس العقوبة والله أعلم.

* * *

تفسير سورة (النصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ الفتح والنصر، هو ما يحصل من الظهور والغلبة والقهر على العدو، وقد يكون الفتح هو الحكم من الله، والإمضاء، والمعنى: ان الله تعالى نصر رسول الله ﷺ، على العرب أو على قريش بفتح مكة، وفتح بلاد الشرك.

وقيل: إن رسول الله ﷺ، لما وصل مكة عام الفتح وقف على باب الكعبة وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: يا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم، قالوا: خيراً، أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء)، لانه كان قد أمكنه الله منهم، ومن رِقابهم، أراد قتلاً، أو أسراً، وليتأمل الإنسان ويتفكر، كان قبل عشر سنوات تحت قهرهم وأذاهم، يؤذونه ويسبونه، وقد بلغ بهم الحال إلى أن تمالوا وأجمعوا على قتله وإبادته، وكان وحيداً، قليل الناصر، وأصحابه يعذبون، ومنهم من هرب وهاجر من شرهم، وبعد هذه المده القصيرة نصره الله عليهم، ومكنه من رقابهم، وقتلهم، وملكهم، وأصبح الاعداء أذلة مقهورة وهذا نصر الله عظيم، وفتح قريب. ومعنى إذا الظرفية أي: إذا وقع الفتح والنصر ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات كما وقع لرسول الله ﷺ من الوفود الكثيرة التي وفدت للإسلام ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

أي: سبحه ونزهه وقدسه ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾. وفي ذلك إشاره إلى كمال الدين، والتبليغ، ولذا قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه السورة نعيت إليَّ نفسي، وأمر بالاستغفار فقيل: كان يستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة، وقيل: إنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ (الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن قوم، رقيقة قلوبهم ،الإيمان يمان)، والفقه يمان، وقيل: إنه قال: (أجد نفير ربكم وقيل نَفَس ربكم، من قبل اليمن)، وقيل: لما وقع فتح مكة، أقبلت العرب بعضها على بعض وقالوا: أما إذا ظفر بأهل الحرم، فليس به يدان، فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. أفاده في الكشاف وقيل: روي أن رسول الله ﷺ، لما نزلت خطب الناس فقال: (إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله).

وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ فسبحه حامداً لله، شاكراً له على ما أولاك من النصر والتأييد، وصدق وعده ووعيده، واستغفره حيث قد تّم ما وعده الله به، إنه كان تواباً أي: يعود بالمغفرة، لأن التواب هو العواد، والله هو العواد بالمغفرة، جل وعلا، وله الحمد على ما أعطى، وله الشكر على ما أولى.

* * *

تفسير سورة (الكافرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله سبحانه وتعالى منَّ على رسوله ﷺ، بالرسالة وبعبادته، فأمره أن يظهر للكافرين المشركين أنه يعبد الله تعالى، ولا يستبدل به غيره، ولا يعبد إلا الله تعالى، فقال: لست أيها الكافرون لأن أعبد ما تعبدون أي: لا أدخل ولا أعمل بعبادتكم في الأوقات المستقبلة، ولا أنتم عابدون ما أنا عابده، في أيامي الماضية. ومعنى ذلك أنه لم يسبق مني في ما سلف عبادة الأصنام في الأيام الجاهلية، فكيف يرجى مني عبادتها في الإسلام، ثم أكد ذلك بتكريره فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ أي: لكم شرككم، ولي توحيدي.

قال في الكشاف: والمعنى أنِّي نبي مبعوث إليكم، لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا ولم تتبعوني، فدعوني كفافاً، ولا تدعوني إلى الشرك.

روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا، ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره» فقالوا: فأستلم بعض آلهتنا نصدقك، ونعبد إلهك، فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا انتهى.

* * *

تفسير سورة (الكوثر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ أي: آتيناك الكوثر، والكوثر: الكثرة الوافرة، فهو إذاً العطاء الكثير الأكبر من الكثرة، وقيل: إنه نهر في الجنة روي عنه ﷺ، أنه قال حين نزلت عليه فقال: (أتدرون ما الكوثر! إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير)، وقيل في صفته: أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد، وَأَوَانيه من فضة عدد نجوم السماء.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أمره تعالى بأن يصلي صلاته كلها لربه خالصاً لوجهه، وأمره إذا نحر شيئاً أن لا ينحره عند نحره إلا لله تعالى، لا كما يفعله المشركون في نحرهم للأصنام والأوثان، ويهلّون بأسمائهم، وهذا دليل على أن الذبح إذا ذكر عليه اسم الله، فهو حلال، وإذا ذكر غيره، فهو حرام، ولقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ هذا نص صريح في المقصود، وفيه دليل على ما يذبح عند طلب العفو ومطايبة النفوس مع ذكر الله عند ذبحه، فذلك حلال لانه أهلَّ لله ولا ينقضه الأغراض، فلا يذبح شيء إلا لغرض، فالله تعالى منَّ على رسوله ﷺ، وعلى عباده بهذه التي تذبح، وما فيها من الخير والنفع، وأن نخالف المشركين في جميع أعمالهم. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ فمن بغض رسول الله ﷺ، من الخلق فهو أبتر، أي:

مقطوع البركة وبعيد من كل خير، فهذا خطاب للنبي ﷺ، إن من أبغضك هو الأبتر لا أنت، لأن العباد كل من يولد في الإسلام فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر والمنارات، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، فمثلك لا يقال له أبتر، وإنما الأبتر هو الذي يشنأك ويبغضك، صلوات الله عليه وآله وسلم. وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، وقيل: في ولده اسمه عمرو بن العاص السهمي، وقد سماه الله الأبتر. أفاد هذا في الكشاف والله اعلم.

* * *

تفسير سورة (الماعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ﴾ أي: هل رأيت الذي يكذب بدار الجزاء، كأنه قال: من هو؟ قال: ذلك الذي يكذب بالدين، الذي يدع اليتيم، أي: يدفعه ويزجره ويرده رداً عنيفاً قبيحاً، وقيل: يَدَعُ اليتيم، أي: يتركه على قراءة التخفيف، وهذا تبيين من الله تعالى لرسوله ﷺ، ولمن آمن لأن الخطاب برأيت لمن يصلح له الخطاب، والرؤية هنا بمعنى العلم، لا الرؤية البصرية. كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ و﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم يجزي الله العاملين على ما عملوا، فهو يكون صفته أنه بعيد عن فعل الخير، وعن الرحمة لليتيم والصدقة عليه، بل يدفعه ويرده، ومن صفته أيضاً أنه لا يحض على طعام المسكين، أي: لا يبعث أهله ولا غيرهم على طعام المسكين، لأنه لايؤمن بيوم الجزاء، لأن ذلك صار علامة لمن يكذب بيوم الدين، أما من آمن بيوم الجزاء، وعرف وتيقن المجازاة، فلا يكون كذلك بل يكون صفته عاملاً للخير. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين يصلون رياءً، ولا يصلون لله مخلصين، ذلك فإنهم لا يرجون لها ثواباً وإن صلوا، ولا يخافون عقاباً، وإن تركوا، لأنهم إن كانوا مع المؤمنين صلوا رياءً، وإن لم يكونوا معهم لم يصلوا. ولذا وصفهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ يراؤون في صلاتهم، وقلوبهم غافلة عن معنى الصلاة وما شرعت له، ولا يزكون أموالهم، بل يمنعون

الماعون، وهذه من صفاتهم، وهذا على القول بأن الماعون هو الزكاة.

وقال في الكشاف: هو ما يتعاون به في العادة من الفاس، والدلو، والقدر، ونحوها.

وقال في المصابيح: هو ما جعل الله فيه العون من المرافق كلها، التي يجب العون فيها، لأهلها من غير مفروض واجب الزكاة، وما ليس فيه كثير مؤنة من المعونات، مثل نار تقتبس، أو رحى، أو دلوُ يلتمس، وليس في بذله إضرار بأهله، إلى قوله: فمانعوه مذامون أي مذمومون. وفي هذه السورة دليل عظيم على قبح الرياء، وأنه شيء خطير جداً، ولذا ورد أنه الشرك الخفي. وورد أنه أخفى من دبيب النمل السوداء في الليلة المظلمة، على المسح الأسود، وأن مدافعته صعب جداً، إلا على المرتاضين بالإخلاص، وله مراتب معروفة نعوذ بالله منه، ونسأله تعالى التوفيق، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ولا يكون الإنسان مرائياً، بإظهار الواجبات بل يجب إظهار ذلك دفعاً للتهمه والإشعار بأركان الإسلام، وذلك من الواجب، وإن أظهر بعض التطوع قصداً للاقتداء مع الأمان من الرياء فذلك حسن، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (قريش)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ جار ومجرور، ومتعلق بقوله ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ ومعنى ذلك أن نعم الله لا تحصى ومنها ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلى أخره فلذلك ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ وقيل: متعلق بأخر السورة التي قبلها، ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ لإيلافهم قريش. وفيه معنى التعليل والإيلاف، من الموالفة يقال: ألفته إلفاً وإلافاً، ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين، رحلة الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون وهم في حال الرحلتين آمنين، لأنهم أهل حرم الله، فلا يتعرض لهم بسوء ولا مكروه، احتراماً للبلد الحرام، والناس يتخطفون وينتهبون، وفي هذا تفخيم وتعظيم، وتذكير بعظم النعمة، التي اختص بها أهل الحرم. كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ وقال تعالى تذكير لهذه النعمة العظيمة: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾ الآية فعقب بذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ * ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ أي: أطعمهم بسبب الرحلتين، من جوع، وآمنهم من خوف، أن يبغي عليهم، بقطع الطريق أو غيره، فأمرهم سبحانه أن يعبدوه وحده، وأن يشكروه على هذه النعمة التي ذكرها الله تعالى وأعطاهم، ووهب لهم بسبب حرمة هذا البيت. وفيه دليل على أن بيت الله الكريم له جلاله، وموقع عظيم عند الله، فيجب احترامه وإجلاله وتعظيمه بكل أنواع التعظيم وفقنا الله لزيارته مرة بعد مرة، بحوله وطوله، ولا قوة إلا بالله.

تفسير سورة (الفيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أي: أفلم تعلم، لأنه ليس هناك رؤية بالعين. فالمراد ألم تر! أي: ألم تعلم، ولأن معناهما واحد أي: ألم تعلم كيف صنع الله بأصحاب الفيل، أي: أنها تواترت الأخبار، وبذلك فقامت مقام المشاهدة، فالاستفهام هنا كالاستفهام الإنكاري.

قيل: إن أبرهة بن الصباح الأشرم، ملك اليمن، بنى كنيسة بصنعاء، وسماها القليس ليصرف الحجاج إليها، فقعد فيها رجل من كنانة يعني: تغوط فيها، فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة، فخرج ومعه فيل اسمه محمود وبجنوده، فلما بلغ المغلس لقيه عبد المطلب، بذل له مالاً كثيراً ليترك ما عزم عليه، فلم يقبل، ثم سأله عن الإبل التي أخذها، فقال: تسألني عن الإبل، وأنا جئت لأخرب هدم البيت، الذي هو دينك ودين آبائك، فقال: أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه. فلما أراد التوجه امتنع الفيل من المشي إلى جهة مكة، فأرسل الله طيراً أسود، وقيل: أخضر وقيل: أبيض، مع كل طائر حجر في منقاره وحجران بين رجليه أكبر من العدسة، فكانت الحجر تقع على رأسه، وتخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من تقع عليه فهلكوا كلهم، وأما أبرهه فدوي، فتساقطت أنامله وآرآبه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره وطائره يحلق فوقه، حتى بلغ إلى النجاشي، فقص عليه القصة، فلما

اتمها وقع عليه الحجر، فخر ميتاً بين يديه، أي: بين يد النجاشي. فهذا رد لكيدهم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ وكيدهم فهي إرادتهم بما كانوا أرادوا من هذا البيت، وجعل كيدهم في تضليل، أي: في عذاب، لأن الضلال يكون بمعنى العذاب كقوله تعالى: ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ وقيل ضلالاً ضائعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في ضياع، ووصف الطير بأنها أبابيل.

قال في المصابيح: والطير الأبابيل، فهي الطير الكبير الأراعيل التي تأتي من كل جهة، ولا تأتي من ناحية واحدة. وقال في الكشاف: أبابيل حزائق الواحدة أبَالة وهي الحزمة الكبيرة، وفي أمثالهم «ضغث على إبالة» شبه الحزقة من الطير في تضامها بالإبالة، والسجين فهو الطين المستحجر الصلب، الذي ليس فيه لين لا يقع على شيء إلا هشمه، والعصف فهو القصب البالي، الذي قد تناثر وتهلهل لكثرة مرور الوقت عليه، والمأكول الذي يسقط عليه الدود من الزرع فتأكله، وقيل: دقائق التبن أو بشيء أكلته الدواب وراثته، وفي هذه السورة من القدرة الإلهية، وتعجيل العذاب في الأمور التي عظمت معصيتها فهذه القدرة الألهية التي شرحها الله، وأرسلها عبرة لكل ذي عقل سليم، وفهم مستقيم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا معتبرين بآياته وخائفين من سطواته، آمين.

* * *

تفسير سورة (الهمزه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الويل، قيل: وادي في جهنم، وقيل: هو ما يعرف من الحرقة والعويل، أي: ينادي بالويل والتبور، والهمزة الهمز، الكسر كالهمز، أي يكسر أعراض الناس بالغيبة ونحوها. واللمز: الطعن. وقيل: الهماز، والغياب، والمراد الطعن في أعراض الناس، بالغض منهم واغتيابهم والهمزة: الباخس المغتاب. واللمزة: هو الهامز العياب.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ والجمع فهو اكتنازه، وتعديده، وإرصاده، وإحصاؤه، أو جمع ماله وقومه، مثل قولك فلان ذو عدد وعده، إذا كان له مال وأنصار، أفاد هذا في الكشاف ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: أيحسب، حذفت همزه الاستفهام، أي: أيظن ويحسب من الحسبان الذي بمعنى الظن أن ماله يخلده في الدنيا، أنه لن يخلده ولا ينقذه، ولا يدفع عنه ما يخشاه من النوائب، ولا يدفع عنه الموت. وفي هذا تعريض وإفهام، أن ضد المال من الاعمال الصالحة، هي التي تخلده في النعيم الدائم، فاما المال فلم يخلد أحداً والله المعين.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن حسبانه الذي يحسبه وإنه ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ والنبذ هو الإلقاء فيها وهي النار التي تحطم كل شيء وكل ما يلقى فيها. ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ إنها لشيء عظيم، وفيه تهويل جسيم، إذا لم تدر

فأسمع إلى وصفها، وهي أنها ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ أي: تدخل في الجوف تدخل إلى أوساط القلوب، ولا شيء في الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألماً منه، بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا دخلت نار جهنم، نعوذ بالله من ذلك. وقيل: خصّ الأفئدة لأنها موضع الكفر، والعقائد الفاسدة، والنيات الخبيثة. وموصدة أي: مطبقة، مغلقة، مستوثقة بالعمد على أبوابها معروضة عليها، ولعل ذلك كالتشبيه بالأبواب التي يجعل فيها العمد المعترضة التي لا يمكن فتحها مع ذلك، وفي هذا تهويل عظيم، وتخويف شديد، اللهم إنا نسألك يا الله، إنا تجيرنا من النار، وأنت خير مستجار، أنا لله كيف القلوب القاسية، التي تسمع هذا التخويف ولا تخاف، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

تفسير سورة (العصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ هذا قسم يقسم الله بالعصر، والعصر فهو الوقت الذي من آخر النهار، وقيل: صلاة العصر لفضلها، لأنها في آخر النهار، وقد قيل: إنها الصلاة الوسطى، وقد روي عنه ﷺ، أنه قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وَترَ أهله وماله»، ولأن التكليف في أدائها أشق، لأنها في أخر اليوم، والناس يتهافتون في معايشهم ومكاسبهم، أفاد ذلك في الكشاف، وقيل: العصر الدهر لما في مروره من أصناف العجائب، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ والإنسان المراد به الجنس الذي يفيد العموم، أي: عموم الأفراد، ولهذا صح الاستثناء منه، والخسر هو الخسران وهو النقص من الخير، فكل الناس غير رابحين، ولا مفلحين إلا من عمل صالحاً، أي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله من طاعة الله، والزهد في الدنيا والرغبة في الأخرة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعة الله والقيام بأوامر الله، واجتناب معاصيه، وتواصيهم هو تآمرهم بالقيام بطاعة الله، والقيام بالبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وجهاد الظالمين، ومنابذة الفاسقين، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (التكاثر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: شغلكم التكاثر وأغفلكم عما يجب عليكم، وما هو الأولى لكم، والتكاثر بالأموال والأولاد والتباهي بها، والخيلاء والمفاخرة، فشغلوا بذلك عن اكتساب زاد المعاد، وعن كل نفع ورشاد، وهم في اشتغال بكسب الأموال والأولاد، وما يقع به التباهي والافتخار.

قال في الكشاف: روي أن بني عبد مناف وبني سَهْم، تفاخروا أيهم أكثر عدداً، فكثرهم بنو عبد مناف، فقالت بني سهمٍ: إن البغي أهلكنا في الجاهلية، فعادُّونا بالأحياء والأموات، فكثرهم بنو سهم، والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء، حتى إذا استوعبتم عددهم، سرتم إلى المقابر، فكاثرتم بالأموات، عبّر عن ذكر الموتى بزيارة المقابر، تهكماً بهم. وقيل: كانوا يزورن المقابر، فيقولون: هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان، عند التفاخر والمعنى ألهاكم ذلك، وهو مما لا يغنيكم، ولا يجدي عليكم في دنياكم وأخرتكم، عما يعنيكم من أمر الدين، الذي هو أهم وأعنى من كل مهم، أو اراد الهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم، منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها، والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت، انتهى.

﴿ كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه، أن تكون الدنيا جميع همه تاركاً لأُمور دينه ﴿تَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا إنذار وتخويف عظيم، وفي التكرير زيادة إنذار، وإنه لا بد من أن يعلم ويتحقق، أنه لن ينفعه إلا الأعمال الصالحة، فقال: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم كرر التنبيه بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ وجواب لو محذوف أي: لو تعلمون ما تستقبلونه من الأمور العظيمة، لما كنتم تشتغلون بما لا ينفعكم. ثم قال تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ وهذا جواب قسم، محذوف لتوكيده الوعيد، أي: والله لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين، وفي هذا تخويف وإنذار، لما فيه من تفخيمه وتعظيمه بعد الإبهام والتكرير، والعطف يثم تغليظ في التهديد، وزيادة في التهويل، وعين اليقين هي نفس اليقين، ويجوز أن تكون الرؤية بمعنى العلم ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: لتسألن في ذلك اليوم، عن ما كنتم فيه من اللهو والتنعم، الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه، والنعيم هو للعموم، أي: كل ما كنتم تتنعمون به من الملاذ واللباس، وإلى غير ذلك من سوابغ النعم، التي منَّ الله بها في الدنيا والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (القارعة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ كل ما هال من الأهوال وأفزع وهجم بغته، والقارعة مرفوع بفعل محذوف دل عليه لفظ القارعة، أي: تقرع القارعة، أي تهجم بأهوال مفزعة. لأن لفظ القرع، أي يقرع السمع يفيد ذلك، ثم جاء بما الاستفهاميه للتعظيم، أي: وما أدراك ما هي.

ثم فسر ما بعدها بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ يوم الحسرة والندامة يوم تكون القيامة يكون الناس كذا لكثرتهم وحصول ضعفهم واستكانتهم، فمثلهم بالفراش لأنهم يكونون هناك أذل من الفراش، لأنه ضعيف ذليل، والعرب تتخذه مثلاً في الضعف والحقارة، تقول: ما هذا إلا كالفراش في الضعف والخفة، وتقول: هم أذل من الفراش.

ثم قال: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: كالصوف المنفوش المفرق الأجزاء، وقيل: الذي يلين للنفش باليد، وينتفش ويتجافى ويعود خفيفاً أجوفاً، قد تفرقت أجزاؤه، وبان خفاؤه، فعاد قليله كثيراً وصغيره كبيراً، لتفرقه وتمزقه، وكذلك الجبال يكون كالسراب الرقاق في الفناءِ والهباء، وقيل: كالقطن المنفوش الذي قد نفش وتفرق أجزاؤه بعضه من بعض.

قال في المصابيح: مثل الله تعالى الناس في يوم البعث بما وصف من

الفراش المبثوث، الذي يموج بعضه في بعض ويصدم بعضه بعضاً، ويسقط تهافتاً على الأرض لكثرته وحيرته، واختلاف جهته، ويومئذ يدعوهم من تلك الجهات المختلفات، الداعي فيستجيبون لدعوته كلهم جميعاً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا اختلاف لهم، وهم في حيرته من ندامة، إلا صاخة بالأسماع كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ انتهى.

ثم عقب ذلك بقوله: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية زاكية، وذلك بالأعمال الصالحة والفضائل الواضحة، هناك تثقل موازينه، والثقل هنا بمعنى العظمة، كما يقال: فلان عظيم خطير له شأن رفيع، وليس هناك موازين حقيقية، وكذا يستعمل العرب للشيء الخطير يقولون: ثقيل شأنه كما أفاد ذلك في المصابيح وغيره، وكذا قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ تأويله كذلك لا يكون له قدر ولا ثقل لأعماله السيئة، وأمه هاوية، من قولهم: أذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هلك هوت أمه ثكلاً وحزناً وقيل: أمه قصيرة ومهواة من أسماء النار، حينئذ كما قيل: (فمأواه النار) ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ فكانت النار الحامية هي أمه؛ لأنها مقر له ومأوى، والحامية التي لا تطفأ، نستجير بالله منها وهو خير مجير، ونستعيذه بمنه وكرمه النجاة منها.

* * *

تفسير سورة (والعاديات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أقسم الله جل وعلا بالعاديات، وهي التي تعدو، وهي الخيل التي تحمل الغزاة في سبيل الله بفضلها حينئذ، والضبح: صوتها عند العدو، وقال عنترة:

والخيل تقدح حين تضبح ... في حياض الموت ضبحاً

أي: تقدح بحوافرها فقال تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ والإيراء هو إخراج النار حين تصك بحوافرها على الحجارة يقال قدح فأورى ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ أي: تغير على العدو في الصباح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أي: فهيجن بذلك غباراً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ أي: فوسطن بذلك جمعاً، أي: بين جموع الأعداء، أي: توسطن بين العدو ثم رتب بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ الكنود الكفور، كند النعمة كفرانها، وترك شكرها، رتب النعمة بالخيل ونفاعتها عند الجهاد، وبأن ذكر أن الإنسان كفور للنعمة غير شاكر، بل غافل بالمعاصي عنود عند الحق ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: يشهد على نفسه، ولا يقدر أن يجحد لظهور أمره. وقيل: إن الشاهد الله وإن العبد يعمل المعاصي، ويجحد النعمة، والله على ذلك شهيد. وذلك وعيد وأيّ وعيد حينما يشاهده الله، وهو يعمل المعاصي، وهو مع ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أي: بخيل شديد البخل ممسك للأموال لا ينفقها لكثرة حبه للمال، أو أراد بالشديد القوي

أي: قوي على حب الخير وهي الأموال، مطيق وضعيف عن عبادة الله من المفهوم.

ثم قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ هذا استنكار وذم له لما لا يتفكر ولا ينظر، ويتأمل، وأنه لابد من بعثرة القبور، وإخراج ما فيها من عظام الموتى، ولا بد مع ذلك من الحياة وإظهار ما بطنته الصدور، وقيل: حصل أي: ميّز ما في الصدور من الخير والشر، ومع ذلك كله ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أي مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه خافيه يعلم ما تكن الصدور، وما عمل من خير وشر قال تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ أي: لا يخفى، وفي هذا تخويف وإنذار لمن ألقى السمع وهو شهيد، نسأل الله التوفيق والإنابة، آمين.

* * *

تفسير سورة (الزلازل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ زلزلت الأرض ما ينزل بها وبأهلها من الأهوال العظيمة، وما تستوحيه الحكمة الإلهيه من الزلزال الشديد، الذي ليس بعده تقول: زلزله زلزالاً. أكد الزلزله لعظم شأنها، وما هناك ما يقع من شدة الزلزلة التي تمح الجبال، وتدك الأرض دكاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وكما وصف يوم الأحزاب، بأن المؤمنين زلزلوا زلزالاً شديداً. ثم قال: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الأثقال هي متاع البيت. والمراد هنا أخرجت الأرض ما فيها من دفائن الموتى وغير ذلك، فعند ذلك تتخلى الأرض، ويخرج ما فيها من الأثقال وتبيد وتفنى. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ فعند أن تنشر الأرض موتاها نشراً، ويخرج ما فيها ويحشر الناس ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ الإنسان هو الناس كلهم، عندما يرون ما يرون، يتسآلون ويقولون: ما لها؟ لما يبهرهم من الأمر الفضيع كما يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ سؤآلات فارغة، وقيل: يقول هذا الكافر المنكر للبعث، أما المؤمن فيقول هذا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ثم هناك قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فتحدث بالأخبار وما وقع فيها. قيل كما روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «تشهد على كل أحد بما عمل فيها»، حقيقة ينطقها الله، وقيل: هو مجاز عن إحداث الله من الأحوال، فكأنها تحدث بكل ما عمل

فيها. وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: تحدث أخبارها بسبب ما أوحى الله إليها، أو تحدث بأن ربك أوحى لها، أي: تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها، ثم عند ذلك ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: متفرقين منهم بيض الوجوه آمنين، ومنهم سود الوجوه فزعين، أو يصدرون أشتاتاً متفرقين منهم إلى الجنة، ومنهم الى النار، يرون جزاء أعمالهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الذرة قيل: إنها التي لا ترى إلا في شعاع الشمس، من الهباء يمشي في الهواء، وهذا التحقيق أنه لا بد أن يرى الإنسان عمله من صغير أو كبير، فما بعد الذرة إذا كان لا يخفى شيء من الأعمال، حتى الذرة فكيف بما فوقها، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ كذلك أعمال الفاجرين، لا بد أن يشاهد كل ما عمله، ويتحقق ذلك ليعرف ويعلم ويتحقق عدل الله جل وعلا، وهناك سيعرف الإنسان كل ما كان يشك فيه، ويرتاب ويتحقق صدق ما وعد الله وأوعد، وأخبر سبحانك اللهم وتعاليت ربنا وتقدست، وأنت العدل الحكيم.

* * *

تفسير سورة (البينة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ فأهل الكتاب اليهود والنصارى، وهم فرق كثيرة فاليهود سامرية وغيرها، والنصارى كذلك فرق شتى، والمعنى لم يكن المذكورون ﴿مُنفَكِّينَ﴾ عن كفرهم ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ قال في الكشاف: كان الكفار من الفريقين، أهل الكتاب وعبدة الأصنام، يقولون قبل مبعث النبي ﷺ لا ننفك عما نحن عليه من ديننا، ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود به في كتبنا في التوراة والانجيل محمد ﷺ، يعني: أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقهم عن الحق، والتزامهم للكفر إلاَّ مجيء الرسول ﷺ، والانفكاك هو المجانبة لما هم عليه، والترك لشركهم، ثم تفرقوا وازدادوا كفراًد بعدما جاءتهم البينة، والبينة هي الحجة الواضحة، وهي الرسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل، منيرة بينة محكمة لها نور وبرهان، ليس فيها اختلاف ولا اعوجاج، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ معنى ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ لا يشركون به شيئاً، بل عبادة خالصة لله وحده، وحنفاء مجانبين كل ما لا يرضي الله، والحنيف هو الطائع المستقيم، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ على هذه الصفة،

بإخلاص العمل والقيام بالصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي: دين الملة الهادية المستقيمة.

ثم فصل جل وعلا وبيّن بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ فالذين كفروا هم شر البرية بسبب أعمالهم الخبيثة، وبما كانوا يفترون على الله من الدعاوى الباطلة، فلهم النار وهي مستقرهم خالدين فيها أبداً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ صدق الله تعالى، فهم خير البرية بسبب أعمالهم الحسنة وامتثالهم لأوامر الله البينة، ووقوفهم حيث يرضى الله عنهم ذلك، وهذه نعمة عظيمة لا يساويها أي نعمة ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ الجزاء هو الثواب المستحق على الأعمال الصالحة، وجنات عدن أي المستقر ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ وهذه نعمة عظيمة حينما يرضى الله عنهم، لأن رضاء الله أمر عظيم كما قال تعالى بعد وصفة الجنة ورضوان من الله أكبر، وكيف وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، ورضاء الله لهم هو ما يفعل الله لهم من الخلود في دار النعيم ودار الجنان، ورضاء الله في قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي: من كل نعيم وهو الحكم باستحقاق النعيم الخالد ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ أي: هذا الجزاء والرضاء من الله تعالى لمن خافه وألقاه وعمل عملاً صالحاً، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنه، ورضيت عمله يا كريم.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ أي: ما ذكره من النعيم والرضوان لمن خشي ربه، وخشية الله هي الخوف منه، الموجب للاتقاء، والقيام بأوامر الله تعالى جعلنا الله من أهل التقوى والكرامة، إنه رؤوف رحيم.

* * *

تفسير سورة (القدر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ عظم الله هذه الليلة، وجعل لها فضلاً كثيراً، وأنزل فيها القرآن وكفى بهذا فضلاً وقدراً، وتفضيلاً للقرآن حيث أُنزل في هذه الليلة المباركة. قال في الكشاف: عظم الله القرآن من ثلاثة أوجه:

١ ـ أَسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به بدون غيره.

٢ ـ أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه.

٣ ـ الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه. (روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ، نجوماً في ثلاث وعشرين سنة).

هذا واختلفوا في ليلة القدر، فكانت المصلحة في إخفاء وقتها، ليحيي من يريدها العشر الآواخر كلها، فيكثر الأجر والثواب.

ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها، لقوله تعالى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ والقدر هو الشرف ومنتهى علو قدرها، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي لا تبلغ درايتك غاية فضلها وغاية منتهى قدرها، وفي هذا اللفظ

تنبيه عظيم على عظم قدرها وفضلها، وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: خير من عمل ألف شهر.

قال في الكشاف: وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك، وتقاصرت إليه أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من ألف شهر من مدة ذلك الغازي، والله أعلم وهي نص صريح في أن عملها خير من ألف شهر انتهى.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تنزل إلى سماء الدنيا، وقيل: إلى الأرض، والروح هو جبريل عليه السلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: من أجل كل أمر بما قضاه الله لتلك السنة، ومن أجل كل إنسان، كما قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: لا يقدر فيها إلا السلامة والخير، وما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين، والحمد لله على نعمه السابغة، وعلى ما أنعم بهذه الليلة على المؤمنين من تضعيف الأجور، وقبول الدعاء والحمد لله رب العالمين.

* * *

تفسير سورة (العلق)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ أمره الله بالقراءة، وقوله: ﴿ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: بسم الله الرحمن الرحيم، وربك الخالق القادر، الذي فطر السموات والأرض وبينه بالصفة المعروفة بقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ وخص الإنسان بالذكر لأنه أشرف ما على الأرض، ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، ويكون فيه تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته وخلقه من علقة، التي هي النطفة الضعيفة، وفي ذلك دلالة على أن ذلك من أعجب العجائب، وحينما نفكر أن الله خلق آدم من تراب وذريته من نطفة، دليل على كمال القدرة الإلهية، ثم كرر الأمر بالقراءة فقال: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم، ينعم على عباده بالنعم التي لا تحصى، ويحلم عليهم، ولأنه أجّلهم بالمؤاخذه، وفي تكرير الأمر بالقراءة، لأن في التكرير زيادة المن والنعمة ليترتب عليها ما ذكره من الكرم العظيم، ثم ما أردفه بقوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ بكمال الحواس والتفهيم للمعلومات، وذلك من عظيم النعمة حينما يخلقه من العدم، ثم ينعم عليه بأصول النعم، وفروعها من الحواس وغيرها من العقل الذي ميزه من بين الأنعام، واختصه به ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فهو المعلم جل وعلا بالقلم وبغيره أن

الله تعالى نقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم، ولا ضبط أخبار الماضين، ولا مقالتهم ولا الكتب المنزلة، إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، وبها ضبطت الممالك في البيع والشراء وسائر المعاملات، وقال تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ولا شك أن الفائدة في الكتابة ظاهرة، ولا استقامة لأمور الدين والدنيا إلا بالكتابه، وكما قد علّم الله رسوله ﷺ، من شرائعه ودينه ولم يكتب بقلم قال تعالى لنبيه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾[1] فهي بمعنى حقاً أو نعم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أي رأى نفسه، لأن الغنى بكثرة الأموال، ونحوها يحمل الإنسان بمعنى يسببه على أن يطغى إذا لم يكن عاقلاً متفهماً، ويعرف أنَّ ما أعطاه الله هي نعمة وفضل يلزم شكرها، وهي عن قليل زائلة أو هو يزول قبلها ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ يتأمل ويفكر في قوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي: إليه الرجوع والمعاد، وذلك واقع على طريقة التهديد والتحذير من عاقبة الطغيان، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ يعني: كأنه قال: أخبرني عن الذي ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله، فكان الجواب قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ويطلع عليه وعلى أحواله، فإنه لا بد أن يجازى على عمله من هدى أو ضلالة، وهذا جواب للجمل المتتابعة وهي ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فالجواب بقوله ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ إلى آخره، وكل ذلك فيه من التوكيد ما لا يخفى. وروي أن أُمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة، ورؤية الله هنا بمعنى العلم، وأن الله يعلم كل من كان يشغل رسول الله ﷺ وينهاه عن الصلاة، وينهاه عن ما كان يأمر به من التقوى، فقال

(١) أو للردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه لدلالة سياق الكلام عليه.

تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: إن لم ينته عن ظلمه ونهيه عن الصلاة، وهو أبو جهل لعنه الله، لنسفعاً بالناصية، والسفع هو القبض على الشيء وجذبه بشدة، والناصية مقدم الرأس، ثم وصف الناصية، أي: بأنها كاذبة خاطئة، والمراد صاحبها من الإسناد المجازي كقوله: ﴿**عيشة راضية**﴾ والمراد صاحبها، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: عشيرته وأقاربه، روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ، وهو يصلي فقال: «ألم أنهك فأغلظ له رسول الله ﷺ، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً» فنزلت ثم قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وهم الملائكة المطهرون الذين ينفذون كل ما أمر الله به، وسميت زبانية ماخوذ من الزبن، وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وروي عنه ﷺ (لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً) ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ ردع وزجر لطاعة أبي جهل، أي: اثبت يا محمد على ما أنت عليه، كقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ أي: دم على صلاتك وسجودك، وتقرب إلى ربك، والله ناصرك، وسيخزي عدوك بما يستحق، وتقرب إليه بالسجود وقد روي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد **والحمد لله**.

* * *

تفسير سورة (والتين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم الله لفضلها على سائر الفواكه، ولذا روي أنه أهدي لرسول الله ﷺ، طبق من تين، فأكل منه، وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا، لأن فاكهة الجنة لا عجم فيها، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس» والتين هي الشجرة المعروفة المأكولة، والزيتون كذلك معروف. وقيل: هما جبلان من الأرض المقدسة، ولأنهما منبتان التين والزيتون، كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو جبل سيناء الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والإضافة فيه إلى البقعة، لأن البقعة تسمى سينا. قيل: هو الجبل الذي كلم الله موسى منه، والله أعلم.

﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة، وقيل الحرم المحرم كلهُ، وسمي الأمين من أمن الرجل أمنه فهو أمين، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين أمانته، أو بمعنى ذي أمنٍ كما قال تعالى: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٥٧] إي ذي أمنٍ، ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة، وما ظهر فيها من الخير والبركة، بسكنى الأنبياء الصالحين، فهي مهاجر إبراهيم عليه السلام، ومولد عيسى، ومنشؤه، والجبل المبارك الذي نودي موسى منه، ومكة مكان البيت الحرام الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ هذا جواب القسم و﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾، في أحسن تعبير لشكله وصورته، وتسوية أعضائه، من توصيل، وتفصيل، وتقدير، فجعله الله مستوياً معتدلاً، ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته على تلك الخلقة القويمة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ قال في الكشاف: بمعنى أقبح صورة وأشوه خلقة، وهم أصحاب النار، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل، وحسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه، فقوّس ظهره بعد اعتداله وأبيضّ شعره، بعد سواده، وتشينِ جلده وكان بضاً، وكلَّ سمعه وبصره، وكان حديداً وتغير كل شيء منه فمشيته دليف، وصوته خفات، وقوته ضعف، وشهامته خرف.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ أي: فأما الذين عملوا إلى آخرها فلهم أجرُ وعطايا كثيرة لا توجد إلا في عطايا الله، وعطاءُ غير ممنون، لا هناك منة، ولا غير ذلك مما تحصل في عطايا المخلوقين من المنة والامتنان، وإن لم ينطقوا بالمنة لأنه لم يعطه إلا من بعد تكلفة ومعاناة، وأيضاً فما يعطيه شيئاً إلا من عطايا الله تعالى، وكل ما ذكر فهو دليل على قدرة الله البالغة فما باله والتكذيب إذ يقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۞ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ وكل ما ذكر فهو دليل على الإعادة، فكيف يكذب بدار الجزاء من أيقن بما سبق من التفصيل في خلق الإنسان، ثم قال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ وهذا وعيد للكفار، وأن الله لا بد أن يحكم بحكمة العدل روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها يقول عند تمامها: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» وبالله التوفيق.

* * *

تفسير سورة (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ألهمزة هنا للاستفهام الإنكاري الذي يكون ما بعده ثابتاً، فالشرح لصدره ﷺ، واقع، وقد عطف عليه بالشيء الثابت، وهو وضعنا عنك وزرك، ومعنى شرح الصدر هو توسعته ليحمل أعباء الرسالة، والقيام بهداية الأمة، وهموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً، وقد تحمَّل المكاره التي يصعب حملها لغيره، وكم تعرض لأذى كفار قريش، كما تحكي ذلك سيرته، وقد أشار إلى ذلك القرآن العظيم.

وشرحنا لك صدرك بما أودعناه من العلوم والحكم، والجميع صالح لذلك وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ الوضع هو الإزالة؛ والوزر هو الثقل، وهو كلما كان يثقل عليه ويغمه قبل النبوة، وفرطاته وجهله بالأحكام الشرعية، وتلهفه على ما كان يشاهد من قومه، من العتو، والاستكبار، فنصره وأيده وغفر له، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾، وصف الوزر بأنه ثقيل جداً، فوضعه الله لما ذكرنا من التأييد وغير ذلك.

ثم قال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ الرفع هنا هو: الإشادة بذكره فقرن، ذكره بذكره في كلمة الشهادة، وفي الأذان والإقامة، والتشهد في الصلاة، والخطب وغير ذلك.

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وتكرير ﴿لَكَ﴾ في الثلاث الآيات للتأكيد.

ثم رتب على ما ذُكر. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾، لما ذكر ما أنعم عليه من جلائل النعم، كأنه قال: خوَّلناك ما خوَّلناك فلا تيأس من فضل الله، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾، أي: ولو وقع بعض العسر من فقر أو غيره، فإن اليسر يزيل ذلك في أقرب وقت، وكرر ذلك للتأكيد بأن اليسر سيغلب العسر، لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، ويفهم منه أن اليسر أكثر من العسر، وروي أن رسول الله ﷺ، خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسرٌ يسرين» وذلك لأن العسر واحد حينما قُرن بالألف واللام التي هي للعهد. واليسر مكرر للتأسيس لا للتأكيد كما فهم مما ذكر.

واليسر قد حصل بحمد الله له ﷺ بما أنعم الله عليه بالنصر المؤزر الذي حصل منها الغنائم الكثيرة، والتي أصبح الإسلام والمسلمين بها أقوياء، والتنكير في اليسر لعظم حاله وكثرته.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾، هذا أمر إرشادي فإذا فرغت من عمل الصلاة وغيرها، فأنصب في الدعاء وأرغب في العبادة بمتابعتها، قيل: إنها لما نزلت جد رسول الله ﷺ، في العبادة، وكلما فرغ من عبادة أتبعها أُخرى. وعن ابن عباس «وإذا فرغت في صلاتك فاجتهد في الدعاء» وقيل: فأجتهد في العبادة، وكل ذلك صالح بحمد الله تعالى وقد عمل بها الرسول ﷺ بكل معانيها، ولنا برسول الله أُسوة حسنة، فطوبى لمن رغب في عبادة الله وأكثر من الدعاء واللجوء إليه، والله اسأله التوفيق.

* * *

تفسير سورة (الضحى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ الضحى هو أول النهار وارتفاع ضوءه، وسجو الليل هو سكونه وركوده، وتراكم ظلمته، وخص الضحى بالقسم قيل: لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى، وأُلقي السحرة سجداً في قوله تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] وقيل: أراد بالضحى النهار لقوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٩٨] أي: نهاراً لمقابلته بياتاً، أفاد هذا في الكشاف و﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ جواب القسم، بمعنى ما تركك، أو ما قطع المودع، والتوديع هي المفارقة الواضحة؛ لأنه من ودعك صاحبك فقد فارقك قيل: إن الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ، أياماً، فقال المشركون: إن محمداً قد ودعه ربه وقلاه وحزن لذلك وخاف فنزل: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بل تأخر الوحي لمصلحة يعلمها الله تعالى، وما قلى وهي الكراهة، فما قلاك ما أبغضك ولا تَرَكَكَ، ولذا أردفه بقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1] أخبره جل وعلا أن حاله في الآخرة أعظم من حاله في الدنيا، وأجل وهو السبق والتقدم على جميع الأنبياء وعلى سائر الأمم، ورفع درجات

(١) فائدة: قال في الكشاف اللام في ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾، لام الإبتداء وليست لام القسم، لأن لام القسم لا تدخل إلا على مضارع مؤكد فلما كان المضارع هنا غير مؤكد، فيجب حملها على لام الإبتداء، ويقدر مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك، إنتهى، بتصرف، إنما هذا معنى ما ذكره في الكشاف، والله الموفق.

المؤمنين وتمكينه من الشفاعة، وقد أكمل الله ما وعده في الدنيا من النصر والظفر بأعداه، وقتل الذين كانوا يؤذونه في مكة، كأبي جهل وغيره، في يوم بدر، وفتح مكة، ودخول الناس في الإسلام أفواجاً، والغلبة على بني قريظة وبني النضير، وخيبر، وغير ذلك، ثم ذكر تعالى ما أنعم الله عليه بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ كان يتيماً لأنه مات والده وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن ست سنين أو ثمان على اختلاف الرواية، فكفله جده ثم عمه، وضالاً عن علم الشرائع كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: ضل في شعاب مكة في صباه، وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب، وكان عائلاً فقيراً فأغناه الله بالغنائم أو بقناعة القلب، فإذا قد من الله عليه بجميع ما ذكر فنهاه بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ لا تقهر اليتيم لا تأخذ ماله، ولا تعبس في وجهه، وكذا السائل لا تزجره. وقد ورد أن السائل طالب العلم وكل ذلك صالح للمعنيين للمستجدي أو طالب العلم ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي: أشكرها وأظهرها، وحدِّث بها المؤمنين ليزدادوا إيماناً، ولا تنس نعمة الله عليك، بهذه الثلاث فتعطِف على اليتيم، وآوِهِ فقد عرفت اليتيم، ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل، وتفقده بمعروفك، ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك وأغناك بعد الفقر، وحدث بنعمة الله كلها من الهداية، وتعليم الشرائع وغير ذلك، فكان بنعمة الله ذاكراً ومذكراً ولنعمة الله حامداً وشاكراً ﷻ، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (والليل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ غشيان الليل هو تغطيته للشمس أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ أخذ من قوله تعالى: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو أنه يغشي كل شيء يغطيه بظلمته، وتجلى النهار ظهور شمسه وضياؤها بزوال ظلمة الليل، ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ [الليل: ٣] أي وخلق الذكر والأنثى، وأقسم بهذه الألفاظ لما فيها من النعمة على الخلق، أما الليل والنهار فتفسير النعمة بهما يطول الشرح، وذلك ظاهر فلولا تعاقبهما ما صلح العالم بكل ما فيه، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣] وأما خلق الذكر والأنثى، فإن في ذلك من القدرة الإلهية التي يعجز كل متكلم عن شرح ذلك، وعن شرح القدرة الإلهية في خلق الذكر والأنثى، وما فيهما من قوام الحياة بالتناسل وغيره، وكل ذلك بفضل قدرته ورحمته ونعمته ومنته ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا جواب القسم، والشتى جمع شتيت، أي: أن سعيكم أشتات مختلفة في الخير والشر وغيره، ثم فصل السعي بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾ أي: من أعطى حقوق ماله، وغير ذلك من الصدقات والعطاية في سبيل الخير ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ قام بأوامر الله تعالى، ولم يعصه ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾، هي الإيمان بالله وبالإسلام وأمر بذلك، وعمل، وقيل: صدق بالجنة، لأنه إذا صدق بها عمل ما يفوز بها

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ أي: سنيسر له طرق الخير ونلطف به، ونوفقه للطاعة ويكون تيسره عليه، ويرغب في عمل ذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ هذه مقابلة عظيمة وهي من أنواع البديع، ويسمونها مقابلة كقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قابل الحل بالحرام، والطيب بالخبيث، وهنا قابل من أعطى واتقى، ببخل واستغنى، وقابل وصدق بالحسنى، كذب بالحسنى وسنيسره لليسرى، سنيسره للعسرى، وهذه بلاغة عظيمة، والمعنى من بخل بالعطا ومنع الحقوق الواجبة، ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ زهد فيما عند الله وأقبل على شهوات الدنيا، وكذب بالحسنى بما وعد الله وترك الواجبات، ولم يصدق بوعد الله ووعيده، فدخل في المعاصي وتهور فيها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ سنتركه من الألطاف ونخذله بترك تيسير الطاعات فتكون الطاعة عليه ثقيلة، كما قال تعالى: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهذا بسبب أعماله الفاسدة. قال في الكشاف: أو أنه سمى طريق الخير باليسر، لأن عاقبته اليسر وطريق الشر العسر، لأن عاقبته العسر وأراد بهما طريق الجنة والنار، أي: فسنهديهما في الآخرة للطريقين منهم أهل الجنة ومنهم أهل النار: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: لا ينفعه ماله، ولو كان يملك ما في الأرض من ذهب وغيره ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: إذا هلك مات، أو إذا قبر، أو إذا تردى في نار جهنم ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ أي: إن الهداية بمنصب الدلائل، وبيان الشرائع هي على الله وقد فعل جل وعلا: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: وأنه المالك للآخرة والأولى وهو المتصرف فيهما، وهي له تعالى وملكه، وسنعطي الثواب والجنة للمؤمنين، والخزي والوبال للعاصين، الفجار المعتدين.

وبعد ذلك يقول: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۞ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أخبر سبحانه بمن يستحق العقاب، وهو الذي تولى وكان من أهل الشقاوة

بأعماله الفاسدة، وتولى عن أوامر الله تعالى، وعن البر والتقوى، وكذب بالجزاء أو بما أخبر الله تعالى من أمر الآخرة.

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ وفي هذه مقابلة من أنواع البديع قابل لا يصلاها بقوله سيجنبها والأشقى بالأتقى، والذي كذب وتولى، بالذي يؤتي ماله يتزكى، لأنه يعمل ذلك لتصديقه وإيمانه، وبين العسرى واليسرى، قال الهادي عليه السلام: ومعنى ﴿ يَتَزَكَّىٰ ﴾ يعطي الأموال صدقة غير الواجبة، لأنه قال فيها أي بعدها ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ أما الزكاة الواجبة فهي واجبة عليه فهي عنده، وهذا معنى قوله عليه السلام وفي المصابيح تأويله يريد يكافأ وهو محتمل للوجهين، وما لأحد عنده من نعمة تكافأ، بل يطلب بها وجه الله لا يريد بها رياء ولا سمعة وقوله: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهذا استثناء منقطع، كأنه قال لكن يريد ابتغاء وجه ربه... إلخ.

لذلك قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي: سنرضيه بالثواب الذي به يرضى وتقرّ بِهِ عينه، اللهم ارض عنا وقرّ أعيننا برضاك يا رب يا رحيم.

* * *

تفسير سورة (الشمس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ الشمس المعروفة وضحاها: هو ضؤها وإشراقها، والضحوه ارتفاع النهار والضحآ بالمد والفتح، امتداد النهار إلى نحو النصف، أفاد ذلك في الكشاف. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، أي: حينما تطلع عند غروبها، وذلك في نصف الشهر، لأنه يطلع عند غروبها، وقيل: تلاها في الضوء، بمعنى أن الشمس مضيئة، والقمر كذلك، وإن تفاوتت الإضاءة قال في المصابيح: هو اتصاله بها وظهوره في الضوء بظهورها، وما أبين ذلك وأنوره في الليالي الغر، فنوره بنورها متصل، وهي ليالي مسفرة مضيئة، ساعاتها منيرة عظم قدرها وفضلها، كما روي في صيامها أنه كصيام الدهر، انتهى.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ وهو ظهور النهار وارتفاعه، وبما يظهر فيه من الضوء، والضمير في جلاها للظلمة، وللدنيا أو الأرض، وإن لم يسبق لها ذكر، لأنها مفهومة معنى، كقوله أصبحت باردة أي: الغداة: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ الضمير للشمس، أي: إذا غشي الليل بظلمته، وأخفى بظهوره ظهورها ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ والضمير للسماء، وتكون ما موصولة أي والذي بناها، وكذلك ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ وهو بسطة، وتمهيده، وتوسيعة، ومعنى ذلك بسطناها ومهدناها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ قيل هي نفس آدم أو أراد كل نفس، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] أي كل نفس ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أي: عرفها الله الطريقين الصلاح والفجور، وتمكينه لها من أي عمل شاءت، بما أوجد فيها من القوة

والتميز بالعقلِ والفهم، وتبيين الحسن والقبيح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وهذا جواب القسم، لأنه يتلقى القسم بقد كما هنا، وأما الزمخشري فقال: الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم، أي على أهل مكة. وهذا بعيد والظاهر الأول، أي: زكاها وطهرها بالأعمال الصالحة والتقوى ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور، وعمل الفواحش. قال ابن عباس: حينما سئل عن معنى هذه قال: أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما، وهذا واضح وأن الضمير يعود إلى النفس في زكّاها ودساها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بكثرة طغواها فتكون الباء للاستعانة، مثل كتبت بالقلم ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بكثرة طغيانها ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ هو قدار بن سالف. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ الضمير للجماعة، وكذا في المصابيح أن الضمائر تفيد أن الخطاب للجماعة، انتهى.

فيكون العاقرون الجماعة، وإذا جعلنا العاقر واحداً فالخطاب لهم جميعاً، والراضي هو كالفاعل لا شك في ذلك،كما لوْ تمالأجماعة على قتل واحد، وقتله واحد أنهم يكونون قاتلين، ونصب الناقة على معنى التحذير، كأنه قال: أحذركم من قتل الناقة، أي: احذروا الناقة وسقياها لا تزووا سقياها عنها، وتستأثروا به ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم وتمادوا بالطغيان ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها جرأة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: دمدم أطبق عليهم العذاب، وفيها إفادة تكرير العذاب في وقته بذنبهم، أي: بسبب ذنبهم حينما عقروا الناقة، وفيه تحذير عظيم من تعجيل عقوبة الذنب، فحق أن يعتبر المذنب ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾، بمعنى سوى الدمدمه حتى عمتهم والضمير للدمدمة فعمهم العقاب ولم يفلت منهم صغير ولا كبير، وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: لم يخافوا عاقبتها وتبعتها كما يخاف بعض المذنبين، ويجوز أن يكون الضمير لثمود، ومعنى سواها بالأرض أو في الهلاك، ولا يخاف عقباها هلاكها، نسأل الله تعالى التوفيق والهداية والله الموفق.

تفسير سورة (البلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: ألا أقسم هنا، أَقسَم جل وعلا بما ذكر، والمراد بالبلد هو البلد الحرام التي وجد فيها الرسول ﷺ، لفضلها، ومعنى لا أقسم الاستفهام الإنكاري، حذفت همزة الاستفهام، والمعنى ألا أقسم، بمعنى كيف لا أقسم بهذا البلد، تعظيماً وتفضيلاً للبلد الحرام، وهي مسقط رأسه ومنشأه وحرم أبيه إبراهيم، ومنشأ إسماعيل وبمن ولده ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ اعتراض بين القسم وجوابة ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ عطف ذلك على القسم، أي وأقسم بالولد وما ولد، قيل: هما آدم وولده، وقيل: والد وولده ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ هذا جواب القسم تلقي القسم باللام، وهي أكثر ما تكون في جواب القسم، ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ في مشقة، وتعب، ومكابدة، وقال في المصابيح: يريد والله أعلم في تقويم وإعتدال وإنتصاب؛ لأن الله عز وجل لم يخلق في الاعتدال، والتقويم، والكبد، والانتصاب، شيئاً من الإبدان غير بدن الإنسان، وفي ذلك عجب عجيب من التدبير والحكمة والبيان، كما يقول الله سبحانه العليم الحكيم ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]، وبين التفسيرين تضاد واضح، والقرآن ذو أوجه والله أعلم.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ وفي هذا تنبيه من الله، لما عليه الإنسان من

الاغترار والغفلة، فيحسب أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر أحد على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: بكثرة الإنفاق، فيما كان عليه الجاهلية ويسمونها مكارم ومعالي ومفاخرة، واللبد الكثير المتراكم الوافر، الذي بعضه على بعض ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يعتقد أن الله لم يكن مطلعاً على ما يفعل، وما كان ينفق للناس افتخاراً ورياءً ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ عينين يبصر بهما المرئيات، ولساناً يترجم به ما يريد، وشفتين بطبقهما على فيه، ويستعين بهما على النطق، وعلى الأكل والشرب، وغير ذلك من غير الزينة، التي بهما الجمال العظيم ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: الطريق الخير وطريق الشر، وقيل: إن النجدين الثديان وهديناه أنعمنا عليه بالثديين، والله أعلم. ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يشكر تلك النعم، فيقابلها بالأعمال الصالحة، من فك الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين، والاقتحام هو الدخول في الشيء بشدة ومشقة، وجعل الأعمال الصالحة عَقَبَة وعملها اقتحاماً لها لما في ذلك من الشدة على النفوس، ومعاناة ومشقة تحتاج إلى جهاد النفس، لأن النفس تأبى فعل الخير، ومع ذلك الشيطان العدو الأكبر الذي يباعد الإنسان على فعل الخير، وفك الرقبة عتقها وتخليصها من الرق، والعتق والصدقة من أفاضل الأعمال وعن الحسن، عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه، وهواه وعدوه الشيطان، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ وهذا اعتراض أي لم تدرك صعوبتها على النفس، وقدر ثوابها عند الله وهي ما فسرها الله به، وذلك ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ إطعام ذي مسغبة والسغب الجوع، أي: ذي جوع شديد، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ اليتيم القريب في النسب، التصدق عليه صلة وصدقة، كما روي، والمسكين الذي قد لصق بدنه بالتراب، في قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ومعناه في يوم أي في يوم من الأيام ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ جاء بثم لفضل الإيمان، وأنه يعدل كل شيء ولا قربة مقبولة إلا بالإيمان، كذا قيل والتواصي بالصبر هو الاجتماع على فعل خير، أو أي

مصلحة، والمرحمة الرحمة، أي: تواصوا بالصبر على فعل الخير، وعلى الرحمة والتراحم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: الأمن أو من التيامن فهي اليُمن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أي: الشؤم وهو العمل الفاسد، الذي صاروا به إلى الهلكة ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ أي: مطبقة مغلقة نعوذ بالله من النار، ومن أهل النار، ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

تفسير سورة (الفجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ الفجر واضح، وليالي العشر أول الحجة إلى يوم النحر، أقسم الله بهذه لما فيها من عظم الحكمة وعجائب الخلق، وهو طلوع الفجر وظهوره بالبياض، معترضا حتى يظهر في أفق السماء، يطلع قليلاً قليلاً مزيلاً للظلمة، ومفرجاً لكربة الليل، عند وجود ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ فالشفع هي الاثنان من العدد، وكل منقسم بمتساويين، والوتر الفرد من العدد، أقسم بها الله لما هناك من الحكمة البالغة، وأن في ذلك آية عظيمة، لمعرفة الحساب في العدد، ومعرفة الكميات من كل ما يعد، ويجوز أن يراد شفع هذه الليالي المذكورة وهي عشر ذي الحجة، ووترها يوم شفعها يوم النحر، ووترها يوم عرفة لأنه تاسع، ويوم النحر عاشرها.

قال في الكشاف: وقد روي عن الرسول ﷺ، أنه فسرهما بذلك.

ثم أقسم بالليالي على العموم فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وفي سُري الليل ومروره من الحكمة، وعظم التدبير، ما لا يخفى. وفائدة هجومه فيه منافع كثيرة لا تخفى على اللبيب، من السكون والاستراحة والهدوء وغير ذلك، و﴿يَسْرِ﴾ تقرأ بغير ياء اكتفاء بالكسرة وعند الدرج، وأما مع الوقف فتحذف الكسرة ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ الحجر هو العقل، وسمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عن الدخول في المهالك والمضار، كما سمي عقلاً ونهيا، لأنه يعقل

وينهى، ومعنى الاستفهام أي هل في ذلك الإقسام مقنع لذي حجر، بل ذلك قسم عظيم مفيد لذوي العقول، وجواب القسم محذوف وهو لتعذبن بدليل قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وهذا ما أفاده في الكشاف، وأما في المصابيح فقال: جواب القسم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ تخويفاً منه تبارك وتعالى ووعيداً لعصاة العباد، انتهى.

وللناظر نظره وكل ذلك صالح ثم قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وقوم عاد قيل: هم أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح يقال: قوم عاد ثم قيل للأولين: عاد الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم، الذي هو إرم بن سام، ومن بعدهم عاد الأخيرة وقيل: إرم اسم لأرضهم وبلادهم التي كانوا فيها ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ اسم للمدينة، ويحتمل أنه صفة للقبيلة فعلى الأول أنها مبنية بعُمدِ عظيمة من الحجارة والخشب، رفيعة البناء صنعوها ونصبوها، لا يقدر على صنع مثلها غيرهم، لأنهم كانوا أهل قوة شديدة، وإن كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا طوال الأجسام، تشبيها لهم بالأعمدة الطويلة القوية، وما رواه في الكشاف أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد، ملكا الأرض، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد، فسمع بذكر الجنة فبنى مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة، وكان موقعها في صحارى عدن، وبناها في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة، فلما تمها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم، بعث الله عليهم صيحة من السماء، فهلكوا وأن عبدالله بن قلابة دخلها، وأخذ من الذهب ما شاء، إلى آخر القصة فالله أعلم بالواقع، ويقولون: إنها رفعت أو أعَمَى الله عنها الأبصار، ولم يكن هناك رواية صحيحة يعتمد عليها، ثم قال الله في وصف المدينة ذات العماد. ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ أي: مثل عاد، لعظم أجسامهم وقوة أبدانهم، قيل: كان طول الواحد منهم أربعمائة ذراع، قيل: كان يأخذ أحدهم الصخرة العظيمة، فيحملها ويلقيها على الحي

فيهلكهم، وإن كان المراد المدينة فلا إشكال أنها كانت عظيمة، لم يخلق مثلها، وقرىء (لم يخلق الله مثلها)، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ ثمود قوم صالح عليه السلام، والواد بلد في بعض نواحي الحجاز معلوم معروف عندهم، ويقال: له وادي القرى وبلد ثمود موضع منه يسمى الحجر، قيل: نحتوها في أطراف الجبال وفيها بيوت منحوته موجودة يراها من وصل إليها، و(جابوا الصخر)، قطعوا صخر الجبال، وأنحتوها بيوتاً، قيل: وثمود أول من نحت الجبال والصخور، والرخام وقيل: بنوا ألفًا وسبعمائة مدينه كلها من الحجارة ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ الأوتاد الأبنية التي بناها فرعون بأرض مصر، وهي باقية إلى اليوم قد بنيت بالصخور العظام الكبار، وهي التي يقال لها الأهرام، وهي عالية كبيرة إذا رآها الناظر من بعد يحسب أنها جبال، وقد شاهدتها وفيها بناءً عظيمة مرصوصة بالحجارة رصاً عجيباً، وهي عريضة من أسفلها دقيقة أعلاها، وهي من أعظم آثار فرعون، ثم وصف الله عاد وفرعون وثمود، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ أخبر الله أنهم كانوا مفسدين فساداً بالغاً، فلما كثر فسادهم وطغيانهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ والكلام يفيد بلفظ الصب والسوط هو شدة الأخذ وسرعته ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ المرصاد المكان الذي يترتب فيه المرصد، وهذا مثل أن الكفار لا يفوتون وأنهم بالمرصاد، وأن العذاب نازل بهم قطعاً، كما إذا قلت فلان بالمرصاد، بمعنى في المكان الذي لا يفوت كأنه محبوس مقبوض، ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ هذا الإنسان المطلوب منه الطاعة والمعرفة لربه، ويفكر بعقله، فهو إذا وسع الله عليه رزقه يقول: إن ذلك اكرام له لفضله ولا يتأمل، أن الله قال ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ وأن توسعة الرزق هو ابتلاء واختبار، هل يشكر ويعرف المقصود من توسعة الأرازق، فلما لم يعرف هذا وغره أمله، وما هو فيه من توسعة الرزق يغفل ويطغه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] فلو تأمل وعرف واستعمل عقله لشكر الله على ذلك، وعرف أن ابتلاءه اختبار ليشكر

أو يكفر ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ وهكذا المبتلى بالفقر وضيق الحال، إنما ذلك ابتلاءٌ واختبار، هل يصبر ويعرف أن الخير له فيما قدره الله له، لا بل يقول إن ذلك إهانة، ولو عرف أن الله بتدبير حكمته وعلمه أنه لا يصلح لهذا إلا التقسيط وعدم سعته، ويعرف أن هذا في صالحه، وأن الله يعد له العوض ويقربه إليه، لأن الفقر أصلح لابن آدم، ولهذا جعل الله الأنبياء فقراء إليه، قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ومع الصبر فالفرج يعقبه في كل شيء، ثم قال: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ هذه هي صفة كثير من الناس، لا يحبون فعل الخير، وفي الكلام إرشاد وترغيب لإكرام اليتيم، والحث على طعام المساكين، لأنها صفة محمودة وضدها صفة مذمومة وقد تكون فيه إشارة، أن عدم إكرام اليتيم إلى آخره مسبب في تقتير الرزق، لأن الصدقة مخلوفة بالأضعاف كما ورد، ثم قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ تأكلون التراث هي الإرث، نهاهم الله عن أكل أموال الأيتام، والأكل اللّم، أي: الأكل السريع، وقيل: الجمع بين الحلال والحرام، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أي: الكثير المتصل الوافر الذي لا ينقطع مع الحرص، والشره، ومنع الحقوق ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ كلا ردع وزجر عن هذه الأوصاف والأخلاق السيئة، وإنكار لفعلهم، فأتى بالوعيد بعد ذلك إذا دكت، أي تدك دكاً متكررا متتابعاً حتى تعود هباءً منبثاً، هناك يحصل الندم والحسرة ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ومجيء الله هو تمثيل لظهور آياته، واقتداره وتبيين آثار قهره، ومجيء أمره ونقمته، كما يقال: جاء الملك إذا جاءت جنوده وقواته فإذا أعظم الأمر يوم القيامه وكل ما هناك من الآيات العظام حسن أن يقال: جاء ربك وقيل: جاء أمره وهو قريب من الكلام المذكور، ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ قيل ينزل ملائكته كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف، محدقين بالجن والإنس يوم عظيم فيه هول شديد ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] روي عن رسول

الله ﷻ، أنها لما نزلت تغير وجه النبي ﷺ، فسئل فقال: «يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعة ألف زمام فتشرد شردة، لو تركت لأحرقت أهل الجمع» ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: يتذكر ما فرط، ويحصل هناك الندم والحسرة، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: من أين ينفعه هناك وقد ختم على الأعمال، وما بقي إلا المجازاة على الأعمال، ثم يتمنى حين لا ينفعه التمني ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ يا ليتني قدمت في الدنيا لهذه الحياة ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قيل: نزلت في أُبي بن خلف، أي: لا يعذب أحد مثل عذابه، أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد، أي: كل واحد مُؤاخذ بقدر عمله، مثل ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة فيه يوم الفزع الأكبر يقال لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ راضية بما أوتيت، مرضية عند الله، فأدخلي مع عبادي الصالحين ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، وهذا أعظم نعمة، وأعظم فوز، نسأل الله الجنة بحوله وقوته.

* * *

تفسير سورة (الغاشية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الغاشية مأخوذ من الغشيان وهو الهبوط بقوة، وهي هنا الداهية العظيمة، التي تغشي الناس بشدائدها وأهوالها وهي القيامة، وقيل: الغاشية النار أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة بعصيانها ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قيل: تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهذا غير ظاهر، بل الظاهر التي قد عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها، وتنعمت، أو التي عملت عمل الخير، ولكنه بريء وغيره كأعمال الخوارج، وتلك أعمال لا تجدي ولا تنفع، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] وذلك لأنه عقبها بقوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ تصلى تدخل فيه تمكناً، قيل: في وسطه لأن الصلو معناه هذا ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ آنية: شديدة الحر متناهية فيه، كقوله تعالى ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ الضريع يبيس الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل إذا كان رطباً، وإذا يبس فلا تقدر عليه، وهو من النار نعوذ بالله ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ لأنه ليس بطعام حتى للبهائم فضلاً عن الإنس ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة وحسن متنعمة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي قد رضيت: بسعيها

الذي أوجب لها النعيم الدائم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ إما من علو المكان، أو علو المقدار ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ أي: لغواً ولا كلام فاحش، من اللاغية وهي الكلمة القبيحة، لأنهم في الجنة لا يسمعون إلا ما يلذ لهم، ولا يتكلمون إلا بالحكمة، والحمد لله على ما أنعم عليهم ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يريد عيوناً كثيرة كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] أي: نفوس ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ مرفوعة المقدار أو مرفوعة المكان على أحسن ما يكون ليرى المؤمن ما هو فيه ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ حاضرة كلما أرادوها وجدوها، أو موضوعة على حافات العيون ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وهي المساند مسرودة ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ بسط عراض فاخرة جميلة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي: ينظرون نظر اعتبار في خلقها، وكيف تحمل الأثقال إلى البلاد البعيده، تبرك حتى يحمل عليها من قرب ويسر، ثم تنهض بحملها، فلها أوصاف جليلة، حينما تقوم بالحمل الثقيل، الذي لا تستطيع أي دابة أن تقوم بحملها ومسخرة لكل من قادها مع كبر جسمها، وتصبر على العطش أيّاماً، لأنها تعبر القفار وجعلها ترعى شجراً ما ترعى غيرها، طويلة الأعناق لأن فيها فائدة، وهو حملها للأثقال، وتقوم به.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ رفعاً بعيد المدى بلا عمد، ولا غير ممسك السماء بغير عمد جلت قدرته، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[1] وفي كل ذلك التدبير الإلهي، والقوة ما تعجز عن تفصيل ذلك الأقلام، وفي ذلك دليل على التدبير الإلهي، وعلى عظم القدرة، وأن من صنع هذه المخلوقات فحق ألا ينكر منكر على قدرته على البعث ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ليس عليك أن تجبرهم، ولا أنت بمتسلط عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لكن من تولى وكفر، فلا بد له من العذاب الأكبر ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ الذي هو عذاب جهنم، وقيل:

---

(١) هذا ينافي كونها كرويه لأن الشى إذا عظم يكون فيه إنبساط مع كونه كرويا، تأمل.

مستثنى من قوله: فذكر أي الأمر انقطع طمعك من إيمانه، وتولى فإلينا يرجع؛ لأن ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، وهذا فيه تخويف وتشديد في الوعيد، وأن الله تعالى سيتولى حسابهم عند إيابهم إليه، أي: رجوعهم إليه، لأن الإياب هو الرجوع فسبحانه من عظيم جل وعلا اللهم صل على محمد وآله وسلم، ووفقنا وأعف عنا.

* * *

تفسير سورة (سبح)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أي: نزهه، وقدسه، وعظمه، ونزهه عن صفات النقص، وعما يقوله المشركون، ويصفه المشبهون، والأعلى هو المتعالي بالعظمة والكبرياء، والقهر والاقتدار ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: الذي خلق كل شيء فسواه تسوية، وضع كل شيء موضعه بما يتناسب معه، وإذا نظرنا إلى هذه الحكمة العظيمة في الخلق والتدبير لكل شيء بما يليق به، فدل ذلك على أن الصانع حكيم في أبلغ وجوه الحكمه والتدبير ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: قدر لكل حيوان ما يصلحه في معيشته وغير ذلك، وهذه لمعرفة ذلك، وهُداه إلى ما لا يحصر من حوائجه.

قال في الكشاف: يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله ان مسح العين بورق «الرازيانج» الغض يرد إليها بصرها، فربما كانت في بريه بعيده عن هذه الشجرة، فتطوى تلك المسافة حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة، «الرازيانج» فتحك عينها فيرجع بصرها، انتهى.

وهذه من الحكايات العجيبة، أنظر إلى الأنعام كيف تخرج من بطن أمها، فتبحث عن الثدي لتمصه، وليس عندها من يدبرها، وغير ذلك من الآيات

العظيمة كثير جداً. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنبته رزقاً للأنعام، فجعله أحوى، أي أسود من شدة الخضرة، وقيل: يابساً لأنه إذا يبس يسوّد، والأول أولى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أعطاه الله فهماً، حينما كان جبريل يقرأ عليه وهو أمي لا يقرأ، ولا يكتب، فيحفظ ما يملى عليه ولا ينساه، فقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: الذي يرفع حكمه وتلاوته عن طريقة النسخ، وقيل: إلا ما شاء الله، فتذكره بعد النسيان وهو القلة، وقيل: إنها في معنى النفي، والغرض نفي النسيان، وهو من استعمال القلة في معنى النفي ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: يعلم ما يجهرون من العلانية في الأعمال، وما تسرونه، يعلم ما ظهر وما بطن من أحوالكم، وما هو مصلحة لكم وما هو مفسده ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ والله يوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر، وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أمره الله بالوعظ والتذكير، وستحصل الفائدة من ذلك وهو أنه سيذكر ويقبل الذكرى، وهو من يخشى من يخاف من أمر الله، مصدقاً بوعده ووعيده، ويخشى سوء العاقبة فينظر ويفكر حتى ينقاد للحق ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۞ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: الكافر الذي بلغ في الشقوة، والإعراض عن الله مبلغاً عظيماً، لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، والنار الكبرى، قيل: أسفل درجة في جهنم، وقيل: الكبرى هي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أي: تطهر من الشرك والمعاصي، وزكى نفسه بالتطهر للصلاة وإقامتها حق القيام، وكَثر من التقوى والصدقات، وأكثر من ذكر الله تعالى في ليله ونهاره، وقيل: ذكر اسم ربه أي: كبر فصلى، وبذلك يستدلون على أن تكبيرة الإحرام ليست من الصلاة، لأنه قال: فصلى فعطف الصلاة بعد التكبيرة، أي: تكبيرة الإحرام.

قلت: وليس فيها دليل لأن الفاء قد تكون للتفصيل، مثل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ فقال: تأمل.

وقيل: تزكى أخرج الفطرة فكبر في طريقة فصلى صلاة العيد ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: تؤثرون الحياة الدنيا بطلب أغراضها، وجمع أموالها، ومع ذلك تنسون الآخرة، لأن المقبل على الدنيا لا بد أن يقصر في طلب الآخره، ولذا ورد ما طلب أحد الدنيا إلا قصر في آخرته، ولا طلب أحد الآخرة إلا قصر في دنياه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يقول جل وعلا إن هذا المذكور في الصحف الأُولى. روي عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ، كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: «مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر، وعلى شيث خمسون، وعلى أجنوخ وهو ادريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشر، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان»، وقيل في صحف إبراهيم: (ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه، عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه)، أفاد هذا في الكشاف، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة طارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ أقسم الله بالسماء والطارق، لما ذكرناه سابقاً أنه ما أقسم الله بشيء إلا لعظمته وعجيب صنعه، ولما فيه من الأحكام والتدبير، والسماء لا شك أن فيها حسن التدبير، ولما فيها من النجوم الجاريات، وغير ذلك، مما يفهمه المخلوقون وغيره، وكذا النجم الثاقب، قال في المصابيح: «أنه ذو الذنب الذي يرى ليلاً ويطرق في الحين الطويل وإنما قيل له الطارق» والله أعلم لأنه لا يرى إلا بالليل، والعرب تسمي ما جاء من الأشياء ورئي ليلاً، آتياً وطارقاً وقال في الكشاف: «والثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوءه، فينفذ فيه كما قيل: دُرّيٌ لأنه يدرؤه، أي: يدفعه، ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً طارق، أو لأنه يطرق الجني أي: يصكه، والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرمى بها»، انتهى.

والقسم بالنجم لما فيه من عجيب القدرة، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ تقدم أن الاستفهام في مثل هذا هو لعظم المذكور، وإظهار فخامة شأنه، كما قال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦] روي أن أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحَط نجمٌ فامتلاء ماءً ثُمَّ نُوراً، فجزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال ﷺ: «هذا

نجم» فعجب أبو طالب فنزلت، أفاد هذا في الكشاف وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أي: كل نفس عليها حافظ يحفظها بحفظ أعمالها ومهيمن عليها ورقيب وهو الله عز وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] و﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] وقيل: إنها الحفظة الذين يحصون عمله، ويكتبون ما يعمل من خير وشر، كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] وقد روي أن الله وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يحفظونه من الشياطين، ولولاهم لاختطفته الشياطين.

ثم نبه سبحانه على ما يقتضي التفكير في خلق الإنسان، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ هذا استفهام جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ والدفق الصب بسرعة وهو المآء المهين، وفي هذا أعظم عِبرة حينما ينظر الإنسان أصله، ومما خلق ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ الصلب ظهر الرجل والترائب صدرها، وقيل: يخلق الله من ماء الرجل العظم والعصب، ومن المرأة اللحم والدم، والله أعلم. ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ أي أنه أي الله على رجعه لقادر، أي إذا نظر الإنسان في ابتداء خلقه ونشأته، ولا شك أنه يقطع بقدرة الإعادة لمن خلقه من مآء مهين، وهذا تنبيه من الله جل وعلا ونعمه وتفضل، ورحمة، لينظر الإنسان ويؤمن بالله وقدرته، ثم قال جل وعلا: إن في يوم القيامه اختبار وابتلاء، فقال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۞ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ تبلى بكشف السرائر وتعرف، ويقع التمييز بين الأعمال ما طاب منها وما خبث ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ لا ناصر ينصره، ولا مانع يمنعه، ولا شافع ينفعه، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۞ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ هذا قسم آخر، والرجع في السمآء قيل: دوران الفلك ذاهباً وراجعاً وقيل غير ذلك، والصدع التصدع وهو الانشقاق، فقيل: إن الأرض تتصدع بالنبات، أي: تتشق أو أنها تصدع بالزلازل، أو أن ذلك في مواضع من الأرض لا تظهر، وقد قيل: إن في

بطن الأرض صدوع، وهو البركان والله أعلم، وجواب القسم ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ إنه أي القرآن أو ما أخبر به في هذه السورة من البدء والإعادة، وكشف السرائر وكل ما أخبر به في هذه السورة وغيرها لقول فصل، أي فاصل بين الحق، والباطل، كما سمي القرآن فرقاناً، وما هو بالهزل الذي لا فائدة فيه وهو نقيض الجد، فقال: إنه جد وحق ولا هوادة فيه، قال في الكشاف: ومن حقه وقد وصفه الله بذلك، أن يكون مهيباً في الصدور، معظماً في القلوب، يترفع به قارئه وسامعه، وأن يلقي ذهنه إلى أن جبّار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعيده ويتوعده، حتى إن من لم يستفزه الخوف ولم يتابع الخشية فأدني أمره، أن يكون جاداً غير هازل، فقد نَعَىَ الله ذلك على المشركين، في قوله تعالى: ﴿وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦٠، ٦١].

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ أي: أن الكفار يعلمون المكايد في إبطال أمره، وإطفاء نور الله بكيدهم، أي يستدرجهم ومرجعهم إليه جل وعلا ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ يريد جل وعلا لا يستعجل، أمر رسوله بعدم الاستعجال، ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ أي: قليلاً، يسيراً والموعد قريب، وفيه الجزاء عن كل شيء، سبحانك من عظيم ما أكثر حلمك، فاغفر لنا يا عظيم.

* * *

تفسير سورة (البروج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ أقسم الله بهذه المذكورات لعظم شأنها، وما فيها من عجائب التدبير وعظيم الصنع، قال في الكشاف: «البروج الاثنا عشر»[1] قلت: والبروج القصور في اللغة. قيل: على التشبيه، وقيل: النجوم، وقيل: عظام الكواكب، وقيل: أبواب السماء، واليوم الموعود يوم القيامة، وشاهد ومشهود، والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه، انتهى.

ثم عدد ما قيل فيه من الاختلاف، وتنكير الشاهد والمشهود دليل على عظم ذلك، هذا وجواب القسم محذوف، أي: أنهم ملعونون، والمراد كفار قريش، كما لعن أصحاب الأخدود، وقال في المصابيح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، أهل الأخدود الذين حفروا لهم في الأرض فأحرقوهم» فيه خلاف، فقيل: أصحاب عبد الله بن ثامر الذين آمنوا بسببه، وقيل: من أهل الكتاب آمنوا

---

(١) وهي التي جمعها الشاعر في قوله:

حمل النور جوز السرطان ... وجنى الأسد سنبل الريحان

وربوا عقربا وقاسوا بدلو ... ومن البحر تشرب الحيتان

فأحرقهم ملكهم، وقيل: غير ذلك، والقرآن يحكي قصة أصحاب الاخدود باختصار، فقيل: إثنا عشر ألف، وقيل: سبعون ألف، وقيل: إن طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا عشر ذراعاً، عن النبي ﷺ، أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء، والدعاء «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، وسوء القضاء» ثم قال تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ فوصفها الله بأنها نار عظيمة بقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: شهود قاعدين على حافتها، وهم الذين وكلوا بإحراقهم، وجعلوا شهوداً يشهد بعضهم على بعض يوم القيامه، وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم، وقيل: شهود عند الملك، ويشهد بعضهم لبعض أنهم لم يفرطوا في ما أمرهم به ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي وما عابوا عليهم، إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، وسينتقم الله منهم حينما نقموا منهم، إلا أنهم علموا الحق حينما آمنوا بالله الموصوف بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وفي هذا وعيد لهم، حيث إن الله عالم بما فعلوا وشهيد عليهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ فتنوا بمعنى عذبوا، لأن الفتنة تستعمل بمعنى العذاب، ثم أخبر جل وعلا أن جزاء الذين فتنوا المؤمنين ما ذكره من عذاب جهنم الذي هو العذاب الحريق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ وهذا تبشير للمؤمنين بما وعدهم الله من النعيم، وتسلية لهم عما يلقون من المحن من الكافرين، وإشارة إلى إن الذين صبروا على إيمانهم حتى حرقوا أن جزاءهم عظيم، وهكذا حال المؤمنين في الدنيا، فيما أبتلاهم الله به، ومكن الظالمين من ظلمهم وآذائهم، فعاقبة الصبر محمودة، ثم قال تعالى بعد هذا التبشير: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ فبطش الله عظيم وفيه وعيد مهيب، ومخوف تخويفاً شديداً، لأن بطش الله فوق الوصف وأنه سينتقم بالبطش

الشديد، والبطش هو الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وعظم وتفاقم وجسم، ودل على قدرته بالبدء والإعاده يبدأ بالبطش ويعيده، أو يبدأ بالبطش في الدنيا ويعيده في الآخرة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ يغفر الذنوب والودود، يفعل للمؤمنين من عطائه ما أرادوا ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ مجد الله عظمته، ومجيد فعيل للمبالغة في مجده جل وعلا، ومجد العرش علوه وعظمته وهو ملك الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وفعل من أبنية المبالغة وذلك لكثرة أفعاله جل وعلا، وأنه يفعل ما يريده لا يعجزه شيء: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ استفهام بمعنى الثبور، لأن هل هنا بمعنى قد، أي: قد أتاك، أي قد عرفت تكذيب الجنود الذين أرسل إليهم الرسل، وما نزل بهم من العذاب ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ الله قادر على كل من كذب، وسيوآخذهم على تكذيبهم، والله محيط بهم لا يفوتونه ولا يعجزونه، والإحاطة هو تمثيل بعدم الفوات، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ بل هذا القرآن شريف عظيم، مجيد قدره بمعنى عظيم قدره، واللوح، قيل: هو فوق السموات، وفيه مكتوب كل شيء وقيل: إنما هو تمثيل، وإن القرآن محفوظ ثابت، كحفظ ما في اللوح، ومعنى محفوظ من الزيادة والنقصان، والتبديل، والتحريف، وما حفظه الله فهو محفوظ حقاً، لا يلم به ضياع ولا تغيير، لأن حافظه قوي قادر جل وعلا.

* * *

تفسير سورة (الإنشقاق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ إذا شرطية طرفية، وجوابها إما محذوف دل عليه ما بعده وهو فملاقيه، ويصير المعنى إذا انشقت السماء لاقى الإنسان كدحه، وقيل: الجواب ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾، كذا في المصابيح، والظاهر الأول إذ هو أقرب، لأن قوله فأما الإنسان للتفصيل، ولا يمتنع أن يكون الجواب ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ بمعنى أطاعت وسمعت، وأراد انقادت، وطاوعت، وأنصبت، وأذعنت ولم تمتنع، وحقت أي: وهي حقيقة بالانقياد والامتثال، ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ انبساطها وإستواؤها وتوسيعها ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ وأخرجت ما في جوفها، ورمت به، وتخلت عما كان فيها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ٢]

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ بمعنى ما سبق، وهو الإمتثان في إلقاء ما في بطنها وحقت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ أي: عامل، وهو ما يكتسبه الإنسان من خير وشر إلى لقاء ربك فملاقيه، أي فملاقي ربك لا بد من ذلك أو ملاقي العمل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ كتابه بيمينه إما حقيقة فيعطى صحيفته حسناته بيمينه، أو هو عبارة عن التسهيل

من الميامنة، الذي هو اليُمن والبركة كما أفاده في المصابيح، أن المقصود، اليُمن الذي هو التيسير، وقوله ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً لا يناقش ولا يعترض بما يسؤوه ويشق عليه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ إلى أهله وعشيرته إن كانوا مؤمنين، أو إلى رفقاء له، أو من الصالحين وإلى أهله في الجنه ومن حور العين ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ قيل: يغل يمناه إلى عنقه وشماله، إلى ظهره فهناك يشتد الأمر عليه، ويدعو بالويل والثبور يقول: يا ويلاه ويا ثبوراه والثبور الهلاك ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: يدخل في السعير، كقوله: (ونصليه جهنم).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ يعني: أنه كان في الدنيا مترف متنعم لا يهمه شيء من أمر الآخرة، كان في سرور وحبور ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: كاد يعتقد أنه لا يرجع إلى الآخرة، تكذيباً بالقرآن وبما جاء به من ذكر الآخرة على لسان رسول الله ﷺ، والحور هو الرجوع، كما ورد (أعوذ بالله من الحور بعد الكور) أي: الرجوع، ونقض الأمور بعد كورها وجمعها، ثم قال الله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: بلى لا بد من الرجوع، فهو نقض للنفي، وهو أن لن يحور إن الله كان به وبأعماله بصيراً، أي: عالماً خبيراً مطلع على أعماله صغيرها وكبيرها ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الشفق الحمرة التي تقع بعد غروب الشمس وعند انتهائه، يخرج وقت المغرب الاختياري، والوسق الجمع أي ما جمعه الليل، وضمه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: استوى واستدار وتم نوره ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يركب يواجه الحالات، والطبق المطابقه أي لتركبن حالاً بعد حال كل واحدة مطابق لأختها، في الشده وقيل هو الموت، وما بعده من أحوال البرزخ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ أي: لا يعبدون الله ويتقربون إليه بالسجود، وقيل: لا يخضعون ويذلون، وفيها إشاره إلى الكفار الذين كانوا يستمعون إلى القرآن ولا يؤمنون به ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي لا

يسجدون ولا يؤمنون، بل يكذبون بالقرآن وبغيره، والله أعلم بما يوعون، أي: بما تضمر صدورهم من الكفر والبغي والعداوة والحسد ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ هنا التبشير بدل الإنذار من باب التهكم، لأن التبشير بالخير، ووضع هنا للعذاب، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ استثناء منقطع كأنه قال لكن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾، الأجر هنا منكر للتعظيم، وغير ممنون أي غير مقطوع، كلقوله: عطاءً غير مجذوذ وغير ممنون عليك، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (المطففين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف: النقص والبخس في الكيل أو الوزن، والمطففون هم الذين لا يوفون الكيل والوزن، وينقصون المكيال عما يحمله وكذا في الميزان، ثم بين التطفيف بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ قال في الكشاف: قيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بيعاتهم المنابذة والملامسة، فنزلت فخرج رسول الله ﷺ، فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس» قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد، إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» وروي أن رسول الله ﷺ، قدم المدينة وبها رجل يعرف بأبي جهينه، كان معه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، وقيل: إن الكلام على حذف الجار في هم، والتقدير وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، واستقام بهذا ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ هذه حكاية عن إعراضهم عن البحث كانوا لا يظنون أنهم مبعوثون، وفيها إنكار وتعجب من حالهم في الاجتراء على التطفيف، وكأنه لا يخطر ببالهم أنهم سيبعثون ويحاسبون، وفي هذا تخويف

عظيم مع قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه خاضعين، ووصف ذاته بأنه رب العالمين، وفيه بيان بليغ لعظم الذنب والوعيد للذين يطففون، وكذا ترك العدل والقيام بالقسط في كل أخذ وعطا، بل في كل قول وعمل (كلا) ردع وزجر عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن الحساب والبعث.

ثم ذكر كتاب الفجار والأبرار، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ ذلك كتاب الفجار، وما يكتب من أعمالهم على القول بأن هناك كتاباً حقيقاً، وسمي سجيناً من السجن، وهو الحبس، والتضييق، لأنه سبب الحبس في جهنم، ومرقوم مكتوب، وقيل: أنه عبارة عن علم الله فقط وليس هناك كتابة والمرقوم هو في علم الله كالمرقوم كتباً، حيث إنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها علمه جل وعلا، كذا في المصابيح ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ويل قيل: وادٍ في جهنم، أو التخويف بلفظ الويل، ووصف المكذبين الذين يكذبون بيوم الدين، والتكذيب بيوم الدين وهو يوم القيامة، من أعظم التكذيب، لأن فيه إبطال لكل الأعمال الدينية، ثم وصفهم ووبخهم بقوله تعالى، فقال: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فوصفه بأنه لا يكذب بيوم الدين إلا كل معتد أثيم، متعدٍ كثير الأثم، وأوضح تكذيبهم بأنهم يقولون هذا القول، وأن آيات الله من أساطير الأولين.

ثم قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أما كلا فهي ردع وزجر عن تكذيبهم، وذلك للمعتد الأثيم وقد بين سبب التكذيب بالرين الذي قد ختم على قلوبهم، والرين هو صدأ يغير القلب بمعنى يغطيه عن قبول الحق، وذلك بسبب الأعمال الفاسدة، فيؤثر فيها ويسترها عن التفكر والتذكر في ما ينفعها ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ كلا هنا بمعنى حقاً إنهم محجوبون عن فضل الله وكرامته، وهو تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم، كما يحجب الأذلاءُ عن الملوك يقال

فلان مطرود عن الملك، وعن ابن عباس محجوب عن رحمته وعن بعضهم عن كرامته ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: أنهم داخلون في الجحيم ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ تبكيت لهم وتهكم بهم واستهزاء، فانظروا وذوقوا هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، ثم ذكر جل وعلا الفريق الثاني بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ كلا بمعنى حقاً، والكتب كما سبق إما حقيقة فهو كما وصفه وأنه في عليين وأنه مرقوم عند الملائكة المقربين، أو بمعنى العلم وهو أن الله قد كتب لهم الثواب والنعيم في دار كرامته، وإلى الوجه الثاني أفاده في المصابيح ثم أخبر سبحانه عن حال الأبرار فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ على الأسرة ينظرون إلى ما شاؤوه من النعيم، ونظرة النعيم البهجة والرونق والحسن البديع.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ الرحيق: الشراب الخالص الذي لا يشوبه غش ولا شيء مختوم، أوانية مختمة بمسك رائحة المسك فيه فيرتغب فيه ويتنافس فيه، يطلبه كما طلبه غيره من المؤمنين وفيه ترغيب عظيم ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ قيل: هي عين قيل: أرفع شراب في الجنة من تسنيم أي ارتفع وفسرها بقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾.

ثم ذكر الله المتكبر وغيرهم من المجرمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ قيل نزلت هذه الآيات في بعض مشركي مكة وهم: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وأشياعهم، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين، ويستهزؤون بهم وقيل: جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا، وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا راينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي عليه السلام إلى

رسول الله ﷺ، ومعنى يتغامزون يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم، ومعنى فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية بهم، وما أرسلوا عليهم حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم، وهذا تهكم بهم، قيل: أو يكون من قول الكفار كأنهم يقولون: إنهم لضالون وما أرسل عليهم حافظين وكل ذلك مستقيم ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فهذا اليوم بمعنى يوم القيامة، يضحكون حال كونهم على الأرائك ينظرون على الأسرة متنعمين فرحين آمنين، ينظرون إلى الذين كانوا يستهزؤون بهم، ينظرون ما يفعل الله بهم بعد ما كانوا منعمين، والإثابة المجازاة، ذلك تعريف للمؤمنين بنعمته في شفاء غيظهم ونفوسهم، بمعاقبة من كان في الدنيا يسخر بهم ويستخف بهم ولله الحمد.

* * *

تفسير سورة (الانفطار)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ إنفطار السماء انصداعها، وانفطار السماء زلازل القيامة، وزعازع الرجفة، وزعزعت، وذلك عند نفخ الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض، وعند ذلك تنتثر النجوم وتنفجر ويختلط العذب بالمالح ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۞﴾ في ذلك اليوم وهو اليوم المهول، تنتثر فيه النجوم، وتختلط البحار العذب بالمالح، وتبعثر القبور، فرتب عليها حصول الحساب والإطلاع على الأعمال، فتعلم النفس ما قدمت من خير وشر، وما أخرت من الأعمال الواجبه وطاعة ربها، وما ضعيت من الأعمال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا فيه اعظم إنكار وتوبيخ للإنسان، الذي خلقه الله من العدم، وركب فيه عقلاً يفهم به، ويدرك ما يضره وينفعه، ومع ذلك يسوق له النعم التي لا تحصى، وكلفه فعصاه وكفر النعمة وجحدها، ولذا قال رسول الله ﷺ: «غره جهله» وقال غيره غره جهله وجمعه، وغره والله شيطانه الخبيث، زين له المعاصي وقال: افعل ما شئت فربك كريم، الذي تفضل عليك وهو متفضل عليك في الأخرى حتى ورطه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك سوياً كاملاً بالأعضاء السليمة، تنتفع بها في جميع أمورك، متناسب الخلق من غير تفاوت، فلم يجعل أحد اليدين أطول من الأخرى، ولا أحد العينين أوسع من الأخرى، ولا بعضك أسود وبعضك

أبيض، وجعلك تمشي قائماً لا كمشي البهائم فوصل أعضاءك مصوراً سوياً ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ لأي صورك في سورة اقتضتها حكمته ومشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، وبعض التشابه في الأقارب مع التمييز لكل واحد ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ كلا ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله تعالى، وبيوم الدين، وهو يوم الجزاء أو دين الإسلام، فلا تصدقون ثواباً ولا عقاباً ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۞ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ فأخْبرَ وأَعلَمهم أن عليهم شهودا حافظين، كراماً يكتبون ما عمل الإنسان من خير وشر، فهو حفظهم لما يعملون من الأعمال، وليس لعلمهم نسيان والكتابة، إمِا حقيقة كما سبق أو مجاز تشبيه الحفظ بالكتابة، وفي الأمرين تعظيم لأمر الجزاء عند الله، حيث وكّلَ بِحفظ الأعمال وضبطها، وجعل ذلك إلى ملائكة كرام، وفيه إنذار وتهويل للعصاة، ولطف للمؤمنين. روي عن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين، وفي قوله تعالى ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ إشارة إلى أن الله اختصهم بقوة عظيمة روحانية، لا كالإنسان الضعيف الجسماني، الذي ركب من طبائع مختلفة والملك مخلوق من طبيعة واحدة، لطبقة، فهو قوي على الحفظ والإدراك، ولا ينسى ما علمه من الإنسان، فسبحان الخالق العظيم القادر القوي القاهر ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ لفي نعيم مستمر في جنة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۞ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۞ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾ الفجار اسم لكل عاصي لأنه يفجر الحدود، يقطعها فهو في الجحيم مخلد أبداً يدخلها يوم الدين وما هم عنها بمخرجين، لأنه لو خرج لكان غائباً عنها، والله يقول ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾، قيل: إن الله أخبر أن لابن آدم ثلاث حالات، حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازي فيها عمله، وحال البرزخ وهو ما بينهما، ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾ بمعنى أنه قد حكم عليه أنه لا يغيب عنها ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ ما أدراك ما يوم الدين، وفي هذا تهويل وتعظيم ليوم الدين، بحيث

لا تدرك كنه تفصيله في الهول والشدة، وكلما تصورته فهو فوق ذلك والتكرير فيه زيادة تهويل.

ثم أبهم جل وعلا وأردف ذلك بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وهذا شيء عجيب وهو اليوم الذي لا أمر لأحد فيه، بل الملك فيه للواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)، يحق للإنسان التفكر، وأنه يوم القيامة فريد بنفسه لا ينفعه أحد ولا تملك، أيَّ: نفس للأخرى شيئاً، بل كل واحد محاسب على عمله وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٨٠] أي عن النظر في أمر غيره، نسال الله التوفيق وحسن النظر فيما فيه نجاتنا.

* * *

تفسير سورة (التكوير)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ التكوير فيه احتمالات إما بمعنى اللف، أي: يلف ضوها، أو يكون بمعنى طرحها، أو يكون عبارة عن رفعها وسترها، أو تلقى وتطرح عن فلكها، والله أعلم بذلك.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ أي: تفرقت، أو طرحت أو طويت، وكل ذلك بمعنى الهلاك قيل: إنها مع الشمس تطرح في جهنم ليراهما من عبرهما كقوله: ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ سيرت في الجو كالسحاب فعادت كثيباً مهيلاً، ثم هباءً منبثاً ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ العشار: حوامل النوق، وهي أعز شيء عند أهلها، وإذا كانت نفساً وعطلت وتركت مسيّبة مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي اجتمعت وهي تجمع من الفزع وقيل: حشرها موتها ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ من التسجير، قيل: تحريكها واضطرابها وتعود بحراً واحداً، وقيل: تعود نار التعذيب، أهل النار وقيل يذهب ماؤها، ولا يبقى فيها قطرة واحدة ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قرنت بعضها ببعض، وقيل: قرنت الأرواح بالأجساد، وقيل: نفوس المؤمنين بالحور العين ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ كانت الجاهلية يرون البنت عيباً أو حسداً من تزويجها، فإذا أراد أن يستحييها ألبسها جبة صوف

لترعى الغنم، وإن أراد قتلها حفر لها حفرة وألقاها فيها، وبعضهم يتركها حتى تتأهل للزواج، فيقول لأمها: زينيها وطيبيها، حتى أذهب بها إلى صديقها ويلقيها في بئر، قد أعدها لها نعوذ بالله، ثم هناك سؤال الموؤدة قد تخاصم عن نفسها، وقيل: تسأل تبكيتاً لقاتلها، وتبييناً لظلمها، وإذا بكّت الله الكافر على صنعه هذا فما أقبحه وقد استحق العذاب الدائم نعوذ بالله ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: صحف الأعمال تنشر إذا حوسب، فلينظر الرجل ما تملى في صحفه، فليحذر ما دام في دار الخيار، وقيل: تنشر بين أصحابها، بمعنى فرقت، ومن منع من حقيقة الصحف، قال: نشرت أي أحصاها وأعلنت يخبرونهم بما كانوا يسيرون ويعلمون، فتصير أعمالهم كلها مكشوفة، والله أعلم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي أزيلت وقيل: تطوى ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ قيل: اضطربت وتحركت، وقيل: أوقد عليها إيقاداً شديداً، وقيل: غضب الله أو تغضب لغضب الله ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قربت للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] وانظر إلى هذا الأعداد قيل: هذه اثنتا عشرة خصلة، ست في الدنيا، وست في الآخرة، فينظر ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي تعلم أعمالها التي قد نسيتها، كقوله: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ الآية ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قيل: الخنس الخمسة المشهورة: «زحل، المشتري، المريخ، عطارد، الزهرة» وهي تجري مع الشمس، والقمر، والخنس الرواجع، بينما ترى النجم في آواخر البرج إذا هو يكر راجعاً إلى أوله، ولكل نجم منها درج معلومة، إذا بلغها وقرب من الشمس، رجع خائباً حتى يغيب عن الشمس ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ الجوار السيارة والكنس المغيب، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، وقيل: هي جميع الكواكب، تخنس في النهار فلا ترى، وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: أدبر قال العجاج:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وإنجاب عنها ليلها وعسعسا

أي أدبر، وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: إذا اقبل

الصبح، حصل بإقباله روح ونسيم، وقيل: مجاز جعل ظهوره تنفساً ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والكريم هو جبريل عليه السلام لما له من الشرف والرفعة والعظمة ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ذي قوة عظيمة وعند ذي العرش، دليل على عظم منزلته ومكانته ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ مطاع عند الملائكة، ذو استماع لا يعصون له أمراً، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه، و(ثَمَّ) أي في السماء مجاب الدعوة عند الله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس كما يقولون: إنه مجنون ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: أن محمداً عليه السلام رأى جبريل بالأفق المبين، أي بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي: بمتهم مأخوذ من الظنة، وهي التهمة، وقرىء بظنين من الظن، وهو البخل أي لا يبخل بالوحي أي يكتمه، وهذا دليل على الفرق بين الضاد والظاء، فعلى القارىء التحري لأن مخرج الضاد من حافة اللسان من يمنى اللسان أو شماله، ومخرج الظاء من طرف اللسان أي: أوله فليتأمل، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي ليس القرآن أي الذي يلقى على لسان السحرة والكهنة من الشياطين ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أين تروحون وأين يذهبون عن هذا القرآن، وفيه من التشنيع على أهل الظلال واستظلالهم تبيين عظيم وتهكم كبير في تركهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: القرآن فيه من التذكير، والتبليغ، والترغيب، والترهيب، ما يكفي العاقل وهذه الكتب. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ﴾ من الإستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق من الله ولطفه ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بمعنى أنكم لا تعلمون شيئاً إلا وقد علم الله ذلك وهو رب العالمين، العلم بالإرادات قيل: العمل، وقيل: وما تشاؤون أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر من الله، والله قد خول الاختيار إلى العبد أن يعمل ما يشاء من دون قسر ولا إلجاء، ولا إجبار، والحمد لله رب العالمين.

* * *

تفسير سورة (عبس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ قال في الكشاف: إن الآيات في أول هذه السورة نزلت في ابن أم مكتوم، كان أعمى فجاء إلى رسول الله ﷺ، وطلب أن يعلمه مما علمه الله، وكان عند رسول الله ﷺ، أكابر قريش قد طمع في إسلامهم، فأعرض عن ابن أم مكتوم وعبس في وجهه إلى آخر ما ذكره، واستدل على ذلك بأن رسول الله ﷺ، كان يكرمه ويقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة، وقال في المصابيح: وقد قال كثير من هذه العامة بما في أيديهم، من الرواية إن العابس المتولي المذكور في هذه الآية، والمتصدع لمن إستغنى، والمتلهي عمن جاءه يسعى، وهو يخشى، فهو رسول الله ﷺ، إلى قوله: وذمه الله منه وذكره بالتقبيح عنه وأن إبن أم مكتوم جاء فعبس وتولى عنه وما ذكر من هذا القول فلا يجوز على الله ولا على رسوله ﷺ، لأن الله تعالى في كبره وجلاله، لم يذم رسوله بعد إرساله في شيء من فعله، لأن الذم لوم، واللوم مذموم، ورسول الله ﷺ، حميد غير مذموم وكريم عند الله غير ملوم، وقد يمكن أن يكون العابس الذي ذكره الله غير رسول الله ﷺ والله أعلم وأحكم، ولا قوة إلا بالله.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر بما يعرفه من الشرائع ويقبل الذكرى ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ أي المواعظ والتذكير، والمعنى أنك لا تدري ما هو المترقب

به، ولو رديت لما فرطت فيه ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي: تقبل إليه من أجل الحرص والطمع في إسلامه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي ليس عليك جناح، إن عليك إلى البلاغ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: من أتاك طالباً للخير، وهو يخشى فأنت تتشاغل عنه أي يلهيك غيره ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ردع وزجر عن الإعراض عمن يطلب الخير، أنها موعظة يجب قبولها ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: كان ذاكراً غير ناسٍ ولا لاهٍ لأنه يقبل على الذكرى ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: أن التذكرة في صحف والصحف مكرمة لأنها من الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: مرفوعة في السماء مطهرة عن الشياطين، لا يمسها إلا الملائكة المطهرون ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي: هذا تعجب من كفر الكافر، وفي كفرانه لنعمة الله تعالى مع ظهور البينات، ووضوح الدلالات التي لا تخفى على عاقل، ثم شرح حال الإنسان من ابتداء خلقه فقال: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي: من ماء مهين، فقدره فهيأه لما يصلح له، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نصب السبيل على الإشتغال بما فسر به، أي: يسر السبيل بأن سهل له طريق الخير والشر كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي قدر الله الموت عليه فأقبره، جعل له قبراً يواريه ويستره ويصونه، على أن لا تأكله السباع والطير كسائر الحيوانات ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ وهي الإعادة إلى دار الجزاء كما قدر الله ذلك وأراد فعله جل وعلا ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ كلا يحتمل الردع والزجر عما هو عليه من الغفلة ونحوها، ويحتمل أن تكون حقاً، ومعناه أنه لم يقض، أي لم يؤد ما أمر الله من الواجبات، يعني أن الإنسان لا يخلو من التقصير ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أي يجب أن يفكر في طعامه كيف يعيش وأنّا ندبر أمره ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ أي بالأمطار الغزيرة والمنافع الكثيرة ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات من الزرائع وغيرها من النباتات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ الحب معروف من الحنطة والشعير والذرة وغير ذلك، من الحبوب والعنب معروف، و(قضبا) هو البرسيم في

بعض اللغات، والزيتون والنخل معروفان، وحدائق غلبا الحدائق موصوفة بغلبا، إما كثير من الشجر فيها أو الشجر العظام الغلاظ والله أعلم، و(فاكهة) يدخل فيه كل ما يقع التفكه به ولم يكن قوتاً والأب قيل: المرعى لأنه يؤوب أي يعود وقيل: كل الشجر التي ينتفع بها الإنسان أو الأنعام، لأنها كلها تؤوب وترجع، ولذا قال فيها أجمع ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ أي: تستمتعون به وبأكله من المتاع، والمتاع يزول أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤] ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ التي تصخ الأسماع والإصاخة الاستماع، قيل هي من أسماء القيامة وعندها، يقول الله ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ يفر منهم لاشتغاله بما هو فيه وما شاهد من احوال القيامة وأهوالها، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً، وبدأ بالأخ لأنه أكثر ألفة معه، ثم الأب لأنه أقرب نفاعة، ثم الصاحبة وهي زوجته، والبنين لأنهم أقرب ما يشفق عليهم وأحب الناس إليه، وقيل: يفر منهم خوفاً، من أن يطالبوه، والمعنى الأول أولى لقوله: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أي: يهمه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ مسفرة متهللة مضيئه من أسفر الصبح إذا أضاء قيل من كثرة الصلاة، وقيل: من آثار الوضوء ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ (عليها غبرة) يعلوها الغبرة قترة مسودة، فإذا اجتمع السواد والغبرة في الوجوه، كان أقبح شيء، ثم أشار إليهم أنهم الكفرة الفجرة جمع الكفر والفجور، الكفر معروف، والفجور لكل المعاصي، نعوذ بالله اللهم صل على محمد وآله، ونجنا من النار يا عزيز يا غفار.

* * *

تفسير سورة (النازعات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قال في الكشاف: (النازعات) أقسم بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها، أي: تخرج من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في جريها فتسبق الغاية، أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله، حتى تنحط في أقصى المغرب، إلى قوله: والمقسم عليه محذوف، وهو لتبعثن لدلالة ما بعده، انتهى.

وفي المصابيح: (النازعات) إلى (فالمدبرات أمراً)، النازعات فيما أرى والله أعلم، فهن السحاب المنتزع بماء الأمطار من البحار والأنهار، ومعنى (غرقا) مغرقات لما أمطرنا، والناشطات نشطا هو القوة في النزع والصب، ومعنى تنشط الماء فهو تحيده وتطلعه، والسابحات من السحاب يسبحن في الهواء سبحاً، فالسابقات سبقاً بالمطر والغيث لرحمة الله وفضله، والمدبرات لما جعل الله فيهن من الغيث للشجر، والثمار، والمدبرات أمر الملائكة، انتهى.

هذا ما ذكره ولينظر الناظر أي التفسيرين أوفق وأقوم، والظاهر أن التفسير الأول أوضح لجلالة القسم بالملائكة الذين يدبرون الأمور، ولم يظهر أن

السحاب تنشط من ماء البحار، وقد أفاد في قوله فيما أرى والله أعلم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ الراجفة هي القيامة وهي من أسمائها، والراجفة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى، وتتبعها الرادفة النفخة الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: مضطربة شديده الاضطراب، والوجيب والوخيف أخوان ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ ذليله منكسة، أي: أبصار صاحب القلوب ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: مردودون في الحالة الأولى، يبعثون الحياة بعد الموت، قاله في الكشاف.

وفي المصابيح، الحافرة التي تحفر على السرائر وتظهرها ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ يتعجبون من رجوعهم، بعد أن كانوا عظاماً بالية نخرة وهو تعجب بمعنى الإنكار ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي رجعة خاسرة، بمعنى إذا صحت فنحن إذاً خاسرون، وهذا استهزاء منهم مع الإنكار، وإذا منصوب بمحذوف أي نرد أو نبعث ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ الزجرة الواحدة، قيل النفخة الثانية، كأنه يقول: لا تستبعدوا ذلك، فإنما هي زجرة أي صيحة فإذا هم في الساهرة والساهرة، قيل هي الأرض البيضاء المستوية، وقيل: إنها من أسماء القيامة، فإذا قد حلت الساهرة وهي القيامة قد وقعوا فيها أو المتعبة، لما فيها، من الأمور المتعبة. والله اعلم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ معناه الاستفهام وهو بمعنى التقرير، كأنه يقول: قد أتاك لأن هل يكون بمعنى قد في مواضع كثيره يمكن هذا منها، فيقول: هل أتاك حديث موسى، إذ قيل له: اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ خلق الله النداء بالواد المقدس، أي الواد المكرم المنزه المعظم وهو طوى ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: هل ترغب في التزكية، أي إلى أن يتطهر من الشرك ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ أي: أرشدك إلى معرفة الله لأن يحصل لك الخشية، والخشية لا تكون إلا بعد المعرفة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ أي العلماء به، والخشية لها فائدتها، لأن من خشي الله حصل منه كل خير ومن

أمن تجرأ على الفساد ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية، وهي أول معجزاته ولها الدور العظيم ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ فلم يقبل بل تعدى وعصى بقوله (إن هذا سحر مبين) فعصى الله تعالى بعد معرفته، وأن الطاعة قد وجبت عليه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أي: لما رأى العصا انقلبت ثعباناً صار مرهوباً خائفاً، يسعى يمشي بسرعه ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فجمع قومه ونادى فيهم أنا ربكم الأعلى، بعد قوله في المرة الأولى ما علمت لكم من إله غيري ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى نكال، ونكال الآخرة، والأولى الإغراق في الدنيا والعذاب في الآخرة. وقال ابن عباس: نكال الكلمة الأولى وهي ما علمت لكم من إله غيري، والكلمة الثانية ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وقيل بين الكلمتين: أربعون سنة وقيل عشرون ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ صدق الله، إن في ذلك أي في قصة موسى مع فرعون وما كان من وقوع العذاب والإغراق عبرة لمن يخشى الله، ويخاف عذابه، ثم قال تعالى خطاباً لمنكري البعث ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ أنتم أشد خلقاً من الله الذي خلق السماء وبناها، رفع سمكها في العلو مسيرة خمسمائة عام، فسواها مستويه ليس فيها عوج ولا فطور ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أغطش ليلها أي: أظلم، وأخرج ضحاها أي: أبرز ضوئها، يعني الشمس بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] والإضافة إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس سراجها ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي بعد خلق السمآء دحا الأرض، بسطها وسوّاها، ولا مناقضة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] بعد خلق الأرض، قيل: لأنه خلق الأرض غير مدحوة، ثم خلق السماء وبعد ذلك دحى الأرض ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ فجر عيونها بقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢] ومرعاها ما ترعاه البهائم من النبات وغير ذلك ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ نصب الجبال على طريقة الاشتغال، أي أرسى الجبال أرساها، جعلها راسية مرتفعة واقفة ترسى الأرض كما قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧٨] للأرض

أن تميد بكم ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ هي علة، لقوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ * فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: القيامة، وهي أعني الطامة من أسماء القيامة وهي الداهية الكبرى التي تظلم وتعم وتعلو وتغلب ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ يعني يتذكر إذا رأى اعماله مدونة بذكرها، ولو كان قد نسيها لقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي لكل من يرى، أي تظهر وتكشف لأهل المحشر كلهم، يريد لكل من له بصر ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: من طغى جاوز الحد، لأن طغى معناها مجاوزة الحد وآثر الحياة الدنيا، وترك السعي للآخرة، فإن الجحيم مأواه، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: ترك اتباع الهوى، بل قيد نفسه ومنعها عن اتباع الهوى، وهذا أمر عسير جداً إلاّ على من وفقه الله، ودخل الإيمان قلبه والمراد الهوى الذي يدعوك مع النفس والشيطان إلى الاشتغال بالشهوات الخارجية عن مراد الشارع والله الموفق ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فهي مصيره ومأواه، وهذا حال المخلصين مع الله الذين لم تغرهم الحياة الدنيا، بل عرفوا نفوسهم وتخلوا عن الدنيا ومحبتها، وكان عملهم لله خالصاً، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أي: متى وقوعها وهجومها ونزولها، وإيان بمعنى متى أو أيان منتهاها ومستقرها، كأن مرسى مستقر السفينة مستقرها حيث تنتهي إليه ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: أيُّ شيء أنت عند ذكرها، أو أي شيء لك من معرفة وقتها، أو في أي شغل أنت من ذكرها والسؤال عنها، والمعنى أنهم يسألونك عنها فأنت حريص على معرفتها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي: أنك بعثت لتذكر من يخشاها لا لتعلمهم وقتها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: كأن مدة لبثهم لم يبلغ يوماً واحداً أو ليلة واحدة كقوله تعالى: ﴿**لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**﴾ ويوم يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة، فويل للذين يزهدون في الحق، ويغفلون عما أراد الله منهم، ومشتغلون بالدنيا، ويحرصون على جمعها، حتى غفلوا عن الله وعن ذكره، لا قوة إلا بالله.

تفسير سورة (عم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ عن من حروف الجر وما إستفهامية، وإذا دخلت على ما حرف جر حذف ألفها، وبعضهم لا يحذفها في القراءة ويستشهدون بقول حسان:

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في دمان

فأثبت الألف مع دخول على، وإدغمت نون عن في ما لتقارب مخرجها، والاستفهام هنا تفخيم، كأنه قال: عن أي شيء يسألون ويتسآءلون أي يسأل بعضهم بعضا عن النبأ العظيم، عن القيامة والبعث للخلق، حينما سمعوا ذلك فكأنهم يتساءلون بصورة الاستهزاء، وسمي نبأ عظيم، وهذا تفخيم لأمر القيامة إنه نبأ عظيم أي الإخبار به، والنبأ به وهو ما كان ينبئهم به رسول الله ﷺ، ويعلمهم من بعث القبور ونفخ الصور ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي: تختلف أقاويلهم في التكذيب، وقيل: يختلف المؤمنون والكافرون، أما المؤمنون فيؤمنون به ويزدادون إيماناً وخشية، وأما الكافرون فيزدادون عتواً ونفوراً كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وزجر عما هم فيه من التكذيب، أي: ما أتوا به هو باطل

وزور، وسيعلمون ذلك علما لا ريب فيه ولا شك، ثم كرر ذلك الردع مع الوعيد الشديد، لأنهم ماجاؤوا بحق ولا صدق، بل كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: ألم يتفكر في خلق الأرض الذي جعلها لهم مهاداً، يأوون فيها ويسكنون عليها، وسميت مهاداً أي مقراً كمهاد الصبي الذي يوضع فيه الصبي، أي: مضطجعا وما ينام فيه فكيف ينكرون البعث مع أنهم يشاهدون هذا الخلق العجيب، والجبال قد جعلها الله أوتاداً للأرض لئلا تميد بكم توقفها عن التزعزع ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي وكذلك خلقكم أزواجاً أي: ذكراً وأنثى منهما نسل الآدميين، ونومكم سباتاً يسبت فيه الإنسان يسكن من الحركة وهو كالموت، وقد سماه الله موتاً في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وهو نعمة من الله وإحسان، لأن البدن يأخذ راحته من تعبه وأفعاله وإدباره، وراحة البصر، وراحة اليدين والرجلين من الحركة، وراحة النفوس من الهموم والغموم، وإلى غير ذلك ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ سمي الليل لباساً لأن ظلمته تغشيهم وتغطيهم وتسترهم، كما تقول العرب: ألبس الليل الأرض ثوبه وأرخى الليل ستره، وجعل النهار معاشاً مكتسباً لأنه مكتسب يكتسبون فيه المعاش، ويتقلبون في حوائجهم، وجعل النهار معاشاً لأنه سبب ووقت لذلك ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السماوات المبنيات أي قوية محكمة الخلق ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ وذلك الشمس والقمر النيَّران، السراجان الوهاجان، والسراج هو المنور، والوهاج المتلهب المتوقد ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ والمعصرات هي السحاب العاصرات لما فيها من الماء وعن الحسن تأويله أن الله ينزل الماء من السماء إلى السحاب، فيحملن الماء إلى حيث أراد الله إنزاله إلى الأرض (ثجاجاً)، أي: قوي السيلان يثجه في الأرض ثجاً، أي: دفعة ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ يخرج به الحبوب للتكاثر لحصول التكثير، ونباتاً العشب وكل ما تأكله البهائم، وجنات ملتفة بكثر الأشجار المثمرات من الفواكه وغيرها مما

فيها من الفوائد المأكولة الشهية، والروائح البهية، وما فيها من الزينه للناظرين، فسبحان الله رب العالمين ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ يوم الفصل يوم الجزاء، اليوم الذي فيه تفصل الأمور، وتقطع بين العباد والقضاء بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، وبالنباء يكذبون، و(ميقاتاً) موعد انتها الدنيا، وحد للخلق ينتهون إليه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ نفخ الروح في الأجسام، أي: يجعل فيها الحياة كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] والصور جمع صورة على كلام الهادي عليه السلام ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يأتون من القبور أفواجاً جماعات مختلفة وكثيرون ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: مفتحة والتشديد للكثرة، وذلك لنزول الملائكة، وقيل: تقطع وتقلع وتذهب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: تسير حتى تذهب وتنسف هباءً منبثاً، أي: كلا شيء لتفرق أجزائها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ أي: جعلنا جهنم محلاً للطاغين يرصدون فيه، أي مكاناً لا معدل لهم عنه، ومآباً أي: معاداً أو موئلاً ومقراً يأوون إليه، ويصيرون إليه، والأوب الرجوع ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ من لبث في المكان استقر فيه، لا ينفك عنه أحقاباً، حقب بعد حقب، كلما مضى حقب يتبعه أخر، وهي الدهور الدَّائمه وقد قيل: إن الحقب ثمانون سنة فالمراد حقب بعد حقب ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي: لا يذوقون فيها روحا يبردون، ولا شراباً يسكن عطشهم، أي لا يذوقون ما يسهل عليهم عذابهم، ويفرج عنهم كربهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم الماء المغلا، الذي قد اشتد غليانه وهو الغساق ما سال من صديدهم، أو صفة للماء المحمى وفيه زيادة في الشدة ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي ننقص جزاء وفقاً أي: مستوياً على الأعمال التي عملتموها، لا نزيد على ذلك ولا نقص، وذلك بعد الإعذار والإنذار، أنهم كانوا لا يرجون حساباً، أي لا يؤملون المحاسبة على ما قدموا ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي كذبوا بما رأوا من الآيات، وأبصروها فكذبوا بها وكذابا أي تكذيبا ومناكرة وكفرا ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي: محفوظاً مثبتاً معلوماً مبيناً ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: بسبب كفركم ذوقوا الجزاء،

فلن نزيدكم إلا دوام العذاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (إن هذه الآية أشد ما في القرآن من العذاب) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أي: فوزاً وظفراً وموضع نجاة فاز بكذا إذا غنم ذلك وقيل: الحدائق والبساتين، ولذا قرن بقوله: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ حدائق من أنواع الشجر، والأعناب الكروم، والكواعب التي قد فلكت ثديها وهن النواهد، والأتراب اللذات الجميلة، والدهاق المترعة وأدهق الحوض أدهقة أي ملأه ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ أي لا يسمعون لغواً، وهو الكلام الباطل، ولا كذابا يكذب بعضهم على بعض ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ هبة وجزاءً، حساباً أي كثيراً ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا ينالون عنده مخطئة، ولا بهتاناً ولا مكابرة ولا جحداناً، ومنه بمعنى عنده ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ سبحان الله العظيم الروح جبريل عليه السلام وتصف الملائكة صفاً خاضعين لله الجبار العظيم، لا يصدر منهم كلام إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً أي: حقا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي حق لا خلف فيه ولا باطل ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي وصلة لا تنقطع ومآباً مرجع، أي: يرجع إلى ربه ويتوب موئلاً ومرجعاً ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: حذرناكم ونبهناكم عذاباً قريباً، أي وقته قد قرب وما أقربه عند الله ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: الكافر ماقدم من الشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي ياليتني كنت تراباً في هذا اليوم، فلن أبعث تحسراً وندامة، ولا ينفع هناك الندم، وقيل: نعوذ بالله ونستجيره من البلى، ونسأله الرحمة والهدى، والمعونة على أمور الآخرة والأولى، ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله على جزيل أنعامه.

تم تفسير الجزء الأول، ويليه إن شاء الله الجزء الثاني في تفسير جزء تبارك، وله الحمد على التمام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهذا شروع في الجزء الثاني، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق، بحوله وقوته.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

تفسير سورة (المرسلات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ أقسم الله بالمرسلات وما بعدها، وقيل برب المرسلات، والمرسلات هم الملائكة الذين يرسلهم الله بأوامره، وقيل: السحائب عرفاً، يعني متصلات يتبع بعضها بعضاً ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ فعلى الأول يعصفن في مضيهن، كما يعصف الرياح وعلى الثاني الرياح، التي تهب بشدة، فتعصف الأشجار وغيرها ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ أي ينشرن أجنحتهن في الجو أو ينشرن الشرائع في الجو، على الأول وعلى الثاني السحائب الممطرات اللاتي ينشرن رحمة الله في الجهات ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ أي يفرقن بين الحق والباطل بما ينزل

به من التبيين والحجج ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ أي يلقون إلى الملائكة ما ينزلون به من السماء ذكراً، أي وحياً من الأوامر، وغير ذلك ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي إعذاراً وإنذاراً، وهما يتقدمان ما ينذرون به، ليأخذوا حذرهم من بطش رب العالمين ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، وأن الذي توعدون به من القيامة وغيرها لواقع كائن ونازل قطعاً لا ريب فيه، ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي ذهبت وفنيت ومحقت، وهو موافق لقوله: (انتثرت، وأنكدرت)، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ فتحت ومزقت وقطعت فانفرجت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ كالحب إذا نسف، والمراد هنا تمزيقها وذهابها وافناؤها وإبادتها ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي قد جعل الله لها وقتاً، إليه تبلغ وإياه تنتظر الوقت الذي يحضرون فيه.

﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعظيم لليوم وفيه تعظيم لذلك اليوم، وتعجيب من هول ذلك اليوم ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق، وبيان ليوم التأجيل الذي وقع مؤجلاً ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ تعظيم وتهويل، ويوم الفصل الذي يفصل فيه بين الناس وهو يوم عظيم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل لهم من عذاب الله ونقمته، لأنه عذاب مستمر ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ألم يعلموا أنا قد أهلكنا الأولين ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي كفار مكة وغيرهم، لأنهم كذبوا كما كذب من قبلهم ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الهلاك والعذاب نفعل به كل المجرمين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقدم تفسيرها وتوكيدها للتخويف ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي القليل اليسير الضعيف ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم لأنه يقر فيه ويحفظ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الذي قدره الله إلى وقت خروجه، وقد قدره الله بتسعة أشهر فما فوق أو ما دون، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ أي قدرنا ذلك الأجل، فنعم تعظيم القدرة الإلهية، أي فإنّا أفضل القادرين وأعظمهم قدرة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقرير كما تقدم، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ وفي هذا توقيف للخلق على أثر صنعه، وتقرير لهم على ما يقرون، من جعل الأرض كفاتاً، والكفات الجمع أحياءً وأمواتاً، أي تكفت الأحياء والأموات تجمعهم وتضمهم

في قبورهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾.

فهي الجبال المرتفعة والشامخ الرافع، ومنه شمخ بأنفه أي رفعها، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أنزلنا عليكم الماء الفرات العذب، والتنكير هنا يفيد التبعيض، أي من الماء الذي خلقه الله في السماء في قوله: (وننزل من السماء من جبال).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تخويف كما تقدم، ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي إلى جهنم التي كنتم بها تكذبون، لتذوقوا عذابها جزاءً للتكذيب ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ يتعظم بثلاث شعب كالدخان العظيم، تراه يتفرق ذوائب، وهذه النار تتفرق عليهم من الجهات الثلاث، لا ظل فيها ولا ما يغني من اللهب يمنع أو يكافح، ولا يمنع من وصول لهبها ثم وصف جهنم بقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ أي: كل شررة منها كالقصر من القصور في عظمها، وقيل: القصر الغليظ من الشجر، وجمالات جمع جمال، شبّه الشرار بالقصر ثم بالجمال، فوقع التشبيه بالقصر من جهتي العظم والطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات من ثلاث جهات: العظم، والطول، والصفرة وذلك لسان التشبيه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يوم لا ينطقون فيه ولا يتكلمون، ولا يؤذن لهم لأن يعتذرون، ومعنى ذلك لأنه لا ينفعهم أي كلام فلا يكون لهم أذن ولا اعتذار ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يجمعهم الله، الأولين والآخرين للفصل بينهم والجزاء، وإذا كان لكم كيد يرد العذاب أو دفع ما قدّر فكيدون، والمقصود به تبكيتهم وإظهار عجزهم عن قدرة الله، ثم ذكر جل وعلا أمر المتقين وحالهم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ في ظلال ممدود في راحة عظيمة وهي ظلال الأشجار والقصور وغير ذلك، والعيون المياه الجارية الكثيرة، والفواكه هو ما يتفكه به من الطيبات المشتهيات ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءً على عملكم هنيئاً مريئاً

طيباً لا آفة فيه ولا أذى ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إن هذا جزاء المحسنين بأعمالهم في الدنيا من الأعمال الحسنة ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ كأنه خطاب للمجرمين فيأكلون ويتمتعون في الدنيا وذلك قليل منقطع ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ معنى اركعوا أي: اخضعوا وأقبلوا الحق، وأخشعوا ولا تتكبروا، وأدوا الفرائض واطرحوا الاستكبار والنخوة، فإنهم لا يخشعون، ولا يمتثلون ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون به، فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا حديث يعدل القرآن هذا، لأنه آية مبصرة ومعجزة باهرة، فحين لا يؤمنون به فبأي كتاب بعده يؤمنون به، ويحسن عند القراءة أن يقول عند آخر السورة: اللهم إنا نؤمن بآياتك ولا نكذب بها، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (الإنسان)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ هل بمعنى قد، وهي للتقريب أي: قد أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر، وحين من الدهر، طويل كثير لم يكن شيء يذكر في هذا الدهر، أي: أنهم خلقوا بعد أن لم يكونوا، ثم قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ خلقناه، صورناه، وقدرناه، وجعلناه من أمشاج، بمعنى ممزوجة قد امتزجه بماء، قيل: هي عورق النطفة، وقيل أمشاج ألوان وأطوار، يريد أنها تكون نطفه ثم علقة ثم مضغة، وقيل: الأوصال الموصلة، والمفصلة نبتلية نختبره ونمتحنه، ويريد ابتلاءه أو ناقلين به من حال، إلى حال أو نصرفه في بطن أمه ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: قدرناه بأن يكون سميعاً بصيراً ليكون أكثر في النعمة ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: قد أوضحنا له السبيل الذي هو سبيل الله، وهو دين الله ومراده من خلقه ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: لا بد من أن يكون على أحد الأمرين، إما شاكراً ذاكراً بقلبه ولسانه، وإما كافراً معرضاً، كافراً لما أولينا من نعمنا ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ سلاسل من حديد، وأغلالاً كثيراً، كذلك يغل بها تربط في الأيدي إلى الرقاب، والسعير فهو لهب النار، ثم رجع سبحانه إلى ذكر الشاكرين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الأبرار هم الذين استقاموا وبرأوا أنفسهم وصانوها عن اقتراف الآثام الموجب للعذاب،

فيشربون من كأس كان مزاجه كافوراً قيل: اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور، ورائحته وبرده وهو أطيب ما يكون طعماً ورائحة ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يفجرونها يجرونها إلى حيث ما يشاؤون من منازلهم تفجيراً سهلاً، لا يمتنع عليهم أو يسيلونها إلى حيث ما يشاؤون تسييلاً ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ وصفٌ لهم بأنهم يتمون ما نذروا به، ويوفون به، وفيه دليل على أن الوفاء بالنذر من صفة المؤمنين، وقد يسمون الواجبات نذراً بمعنى أنه ملزم بأدائه ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ يخشون من يوم القيامة الذي يكون شره مستطيراً منتشراً، بالغاً أقصى المبالغ في شدة انتشاره وحريقه، وقيل: عالياً ظاهراً مبيناً مكشوفاً ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أي: يتصدقون به ويطعمون غيرهم على حبه وحاجته والرغبة فيه، مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] فالضمير للطعام على هذا، وقيل: على حب الله والأول أوجه.

والمسكين: الفقير، واليتيم: الطفل الذي مات أبوه وأمه أو أحدهما برعايته، والأسير: الذي أسره المسلمون وهو فقير لا يقدر على ماله وأهله، فيجب إطعامهم، قال في المصابيح: وقد ذكر أن هولاءِ الذين فعلوا هذا الفعال هم الخمسة، محمد ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين رحمة الله عليهم، فعلوا ذلك في وقت عسرة وضيق شديد وحاجة إلى المعاش، انتهى.

قلت: لا يمتنع أن تكون الآية للعموم، وأن المؤمنين من الصحابة كانوا يفعلون ذلك، ولكن أما السبب فهو معروف عند أهل التحقيق، وأنه أمير المؤمنين وفاطمة وفضة جاريتهما، وذلك أنه مرض الحسنان فنذروا بصيام ثلاثة أيام أن الله يشفيهما ويلطف بهما فبرءا من المرض، فصاموا، وكان إذا حضر العشاء سأل سائل، الأول المسكين في الليلة الأولى، وفي الثانية اليتيم، وفي ذلك الأسير، فكانوا يعطون السائل ويبيتون جائعين، فنزلت الآية أو السورة فيهم وهذا مروي عند الكثير، وقد وقع تخريج الحديث في هامش المصابيح

ولكنه لم يذكر القصة، والله الموفق.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ أي: نفعل ذلك لله ولوجهه وتقرباً إليه، ولا نطلب في ذلك ولا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً لا حمداً ولا ثناء ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ العبوس الشديد المعبس بوجهه في وجوه الناس لشدة بأسه وغضبه، والقمطرير فهو المتضاعف في الشدة، الذي ليس بعد شدته شدة قد تراكمت شدته بعض فوق بعض ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ نجاهم من شر ذلك اليوم، ولقاهم أعطاهم نظرة بهجة وسرور أحسن الحال، وظهور النعمة، والسرور في قلوبهم والنظرة في وجوههم، فهم في راحة وحبور ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الجنة مسكن الأولياء التي فيها تلذ أنفسهم، وشهوات قلوبهم، والحرير من الجنة ملبوس أفضل من حرير الدنيا، و(بما صبروا) أي: بسبب صبرهم وإيثارهم بما هم في حاجته كما قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] فأعطاهم بستاناً فيه مأكل هنيء، وحريراً فيه ملبس بهي، ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ متكئين على الأرائك هي الأسرة لايرون فيها شمساً، يعني: أن هواءها معتدل لا حر شمس تحمي ولا شدة برد تؤذي، وفي الحديث هواؤها سجسج لا حر ولا قر، وقيل: إن هواؤها ضياء لا يحتاج إلى شمس ولا قمر ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ ودانية الدنوّ هو القرب والغشيان، وإظلالها عليهم وهو ظلال الأشجار الدانية بالأثمار ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٤] والقطوف هي الثمار التي تقطع، والتذلل فهو الأدنى تدنو منهم، وتقرب لأخذها تذليلاً، أي: أدنيت أدناءً وقرب تقريباً وهو توكيد ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ الطواف الدوران بالآنية، وهي آنية الشراب والطعام، يطاف عليهم بما فيها من الأطعمة والأشربة في كل ساعة وأوان، إكراماً لهم من الواحد المنان، والفضة البيضاء الخالصة المعروفة، والأكواب آنية الشراب قواريراً صافية، يرى ما فيها من خارجها ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أي: يقدرون أوقات الطواف بها، فيأتونهم بها وقت

حاجتهم إليها، وتقديراً حسناً بقدر الأوقات والفاعلين لهذا هم الخدم، وقدروا شرابها على قدر الري، ليكون على قدر حاجتهم ويكون الضمير للطائفين بها ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: سلس الانحدار في الحلق وممزوجة بالزنجبيل، والسلاسة نقيض اللذعة ممزوج بالزنجبيل، أو يخلق الله ذلك فيها. وروي عن علي عليه السلام، أنها كلمتين أي سل، سبيلاً، أي: يعطاها من سأل والعين الماء الكثير فيها، أي في الجنة تسمى أي اسمها سلسبيلاً على الوجه الأول أنها كلمة واحده، والزنجبيل في الدنيا معروف، يتداوى به ويستعمل لتخفف ثقل الغذاء.

﴿ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ الولدان الوصفاء مخلدون لا يموتون، صفة أفضل صفة لأهل الجنة وهي الخلود، إذا رأيتهم يقول الرأي: إن هذا من كبار اللؤلؤ ودره منثور متفرق، شبهوا في صفاتهم وحسن الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم باللؤلؤ الرطب، لأنه إذا نثر من صدفه أحسن جمالاً ورونقاً ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ إذا رأى رآءٍ وثم طرق، أي: في محل في الجنة يدرك ويرى نعيماً كبيراً، وملكاً كبيراً، ونعيماً كثيراً، وملكاً وهو ما أعطاهم من الممالك في دورهم ومنازلهم من الذهب والفضة، ومن أنواع الجواهر من الدر والياقوت، والنبات الكثيرة من كل نوع، ومطاعم ومشارب كثيراً واسعاً. يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كأدناه ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، عاليهم أي ما يعلوهم من لباسهم وثيابهم، والسندس من الحرير والديباج الأخضر، والاستبرق الحرير الأحمر، والله أعلم.

﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ يعني: الولدان حليهم ولباسهم من فضة بيضاء نقية، أو أراد أي: أساورهم من فضة، وفي موضع آخر ذكر الأساور من ذهب وهو ممكن الجمع منهما جميعاً، ثم رجع إلى ذكر سادتهم ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الشراب الطهور ليس كشراب الدنيا في آنية ليست بنظيفة التي تعمل في

الدنيا بالأيدي، بل ظاهره نظيفة جميلة، وأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يخرج عرقا، ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ يريد مكافأةً، لأن السعى مشكور أي: عمل مقبول ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ كرر الضمير ونحن ليطمئن رسول الله ﷺ لأن الله الذي إختص بتنزيله، لأن الله إذا اختص بتنزيله كان ذلك لحكمة وصواب، نزلناه تنزيلاً أي: شيئاً فشيئاً، وحقاً فحقاً ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فاصبر على تدبير الله وحكمه، ولا تطع الآثمين والكافرين، ولا تخف من إبراقهم وإرعادهم، وقيل: الآثم عتبة، والكفور الوليد، لأن عتبه كان ركاباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفجور، والوليد غالياً في الكفر شديد الشكيمة في العتو، وقيل: في أبي جهل حين توعده ليضع عليه حجراً حين يصلي، فيكون المعنى لا تخف من وعيدهم ولا تبال والله حافظك، قيل: إنه لما أُتي بالحجر فلما قرب منه رجم بالحجر وهرب، فقيل له: قال: إنه حمل على جمل لم أر أكبر منه يريد أن يأكلني، فهربت فأمره بالمضي في صلاته، ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل صلاة الفجر وصلاة العصر، لأن البكرة أول النهار، والأصيل آخره ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ قيل: صلاة المغرب والعشاء، وأمره بالسجود والتسبيح في هذه الأوقات، ويمكن أن هذا عام للفريضة والنافلة والذكر في غيرهما، ويدخل في ذلك التهجد الذي أمر به ثلث الليل أو نصفه ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: أن الكافرين يحبون العاجلة وهي الدنيا يؤثرونها على الآخرة كقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] ويتركون ما وراءهم أي: قدّامهم، أوخلف ظهورهم (يوماً ثقيلاً) أستعير الثقل لشدته وهو له مأخوذ من الشيء الثقيل الباهظ.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ وشد الأسر هو تركيب المفاصل وتثبيت الأعضاء وتوثيق المفاصل بالأعصاب ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وبدلنا غيرهم مثلهم في الخلق، وشد الأعضاء والمفاصل وتبديلاً من

باب التوكيد كضربته ضرباً ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ الإشارة بهذه إما إلى السورة أو إلى الآيات القريبة، أي: تنبيهاً لكم وحجة فمن شاء أن يتخذ له سبيلاً، أي: يسلك طريقاً فيها نجاته وفوزه، وجعل المشيئة إلى العبد وكل الأعمال هي بإرادته وتصرفه، وما تشاءون من الطاعة وإتخاذ السبيل الحق، إلا بتمكين الله لكم يخلق القدرة فيكم وعقولاً تُميز بين الحق والباطل، وقيل: ما تفعلون إلا بالقسر والغلبة والله لا يفعل ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: لا يخفى عليه شيء، وحكيماً في أفعاله متقناً لخلقه جل وعلا ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الرحمة هي الثواب وقيل: الجنة من تسمية الحال باسم المحل، والذي شاء الله هم أهل طاعته وولايته، وأما الظالمون فليس لهم إلا ما أعد الله من العذاب الأليم.

اللهم صل على محمد وآله وسلم، واجعلنا مع أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

تفسير سورة (القيامة)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لا أقسم بمعنى ألا أقسم، حذفت الهمزة وهي الألف، وهذا كما ذكرنا في سورة البلد، وأما الزمخشري فجعل لا، لا، النافية وفائدتها التوكيد للقسم، والمعنى أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له مثل قوله: ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم**﴾ أي: وإن كانت هذه عظيمة، لكن إقسامي له كلا إعظام، يعني: أنه يستاهل فوق ذلك، وقيل: إن لا نافية لكلام قبل القسم ورد له كأنهم أنكروا البعث فقيل لهم: لا، أي ليس الأمر كما ذكرتم.

﴿أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وجواب القسم محذوف أي: لتبعثن دل عليه ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الخ يوم القيامة يوم حشر العالمين، وسمي قيامة لما يقوم فيه من الأمر العظيم الهائل الجسيم، ومعنى يقوم أي: يقع ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ وهو كالأول طرحت فيه الألف والنفس اللوامة، أي التي تلوم نفسها على التقصير، وذلك لكل نفس، أما المؤمن فيلوم نفسه أن لا يكون ازداد لما يرى من فائدة الحسنات وأما الكافر فعلى ما قدم من المعاصي ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ أي: أيظن الإنسان أو يتوهم أن الله غير قادر على جمع العظام بعد تفرقها وتمزقها، وهو رد على الشاكّين المرتابين في البعث لقولهم: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۞ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] ثم رد عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي: بلى نحن قادرون على أن نسوي بنانه،

والبنان قيل: هو الخلق والأسر والتأليف في الأعضاء، وقيل: البنان الأصابع التي هي أطرافه، أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ونضم بعضها إلى بعض كما كانت أولاً، فكيف بكبارها، وفيه تنبيه عظيم على القدرة بالإعادة ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ أي: يريد أن يجعل باقي حياته في الفجور، أو ليدم على الفجور فيما بين يديه من الأوقات، وفيما يستقبله من الزمان، وعن بعضهم: يقدم الذنب ويؤخر التوبة على طريق التسويف، ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معنى أيّان أي: متى هذا الوعد بالقيامة فرد الله عليه بقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فأخبر سبحانه إذا كان ما ذكر فهو يوم القيامة (برق البصر)، أي: شخص، وتحير، وخسف القمر ذهاب ضؤها أو تسقط، (وجمع الشمس والقمر) أي: جُمِعا في الفناءِ، وفي تنقيص الإضاءة وانتظما جميعا بأمر الله، قيل: يقذفان في البحر، والله أعلم.

هناك يقول: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: أين يذهب ويهرب من هذا الأمر وليس له مفر ولا مناص، وهم أهل الكبائر والكفر والعصيان ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ والوزر الملجأ هناك لا ملجأ، ولا مفر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المصير والمقر إما إلى الجنة أو إلى النار ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: يعلم ويخبر ويوقف على ما قدمه من الأعمال وما أخره وتركه من الواجبات وغيرها، ينبؤهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ أي: هو على نفسه حجة وشاهد عليها بل أعضاؤه شاهدة عليه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها، فإن قلت: قد تقدم أنهم لا ينطقون ويختم على أفواههم، قلنا: هي مواقف كثيرة منها يقع فيه كلام، ومنها لا يتكلم فيه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ كان رسول الله ﷺ إذا لقي الوحي ينازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ، وخوفاً من أن يتفلت منه، فأمر بأن يترك إلى أن يقضي إليه وحيه، والمعنى: لا تحرك به

لسانك بالقراءة لتعجل به ليأخذه على عجله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: إذا قرأه عليك جبريل فاتبع قراءته وتعليمه، وقل كما يقول خذ ما يعطيك، وتعلم ما يعلمك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: إذا أشكل عليك شيء من ألفاظه أو معانيه فعلينا بيانه، بيان كل شيء مما تضمن من حلال وحرام، وغير ذلك، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ردع وزجر عن العجله، ثم أخبره بأن كثير من الناس يحبون العاجلة، وهي الدنيا، وقيل: إن المقصود يحبون الاستعجال في كل شيء والأول أوجه لقوله: ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: تتركون عمل ما فيه نجاتكم في الآخرة، وتتركون الاهتمام بها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ نَضِرَة بالحسنن والجمال، وهي من نظرة النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وفي هذا تقديم المعمول للاختصاص، أي: لا ينظر إلى غيره ومعنى ذلك أنها ناظرة إلى ما وعدها الله من النعيم ومنتظره لثوابه، وقد بشرت بالنعيم، ودخول الجنة، فهم ينتظرون ذلك ووجوهم نظرة وينظرون إلى أشياء كثيرة مما تتضمنه ذلك اليوم من الأمور وهي آمنة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ومعنى الاختصاص أنهم لا يرجون من أحد أي نفاعة إلا من الله، ولذا قدم المعمول وهو إلى ربها.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ وجوه باسرة معنى الباسر شديد العبوس، حينما منعت من رحمة الله، فهي عابسة، كما قال تعالى: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] خائفة قد دفعت ومنعت من رحمة الله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ومعنى الظن هنا هو العلم واليقين، وكثير ما يعبر بالظن عن العلم في القرآن مثل قوله: ﴿**فظنوا أنهم مواقعوها**﴾ أي: علموا، والفاقرة الداهية ـ نعوذ بالله تعالى ـ قد علموا أنها تنزل بهم الفواقر، القاطع وهو العذاب في النار العذاب المتنوع يقال: فقر الظهر بمعنى قطعه.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ردع وزجر عن اتباع الدنيا أي: انتبهوا وتذكروا ما يحصل لكم من الموت، حتى إذا بلغت الروح التراقي وهو أعلى

الصدر يطلبون أو يقولون، هل من راق؟ أي: يرقى من الرقية، أي: هل منكم من راق؟ وقيل: مانع من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي: علم كما ذكرنا آنفاً أي: تحقق وقوع الموت.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: إلتفت ساقه بساقه، أي: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوّالا ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: يساق إلى الله وإلى حكمه، ويسلم بغير مال ولا حال، يقبر لا يملك شيئاً إلا عمله وهو المقر الذي جعله برزخاً إلى يوم القيامة، ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۞ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي معطوف أو مربوط بمعنى قوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أنه منكر بالبعث فلا صدق ولاصلى، فلا صدق بالرسول، ولا صلى، أو لا صدق بالقرآن، بل كذب وتولى.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ قيل: نزلت في أبي جهل (يتمطى) تبختر، وأصله يتمطط أي: يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه، ومنه الحديث إذا مشت أمتي المطيطا، ويمد يديه يلويهما أي: ذهب إلى أهله وإلى قومة يتبختر ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ أي: ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه أو يوليه ما يكره، وقيل معناه كادت نقمته أي: قربت، والتكرير للتأكيد ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: يظن أن يهمل فلا رجوع ولا نقاش، ولا حساب، ولا عذاب، ثم نُبه بقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي: كان نطفة في ظهر أبيه، والمني ما يخرج من الإنسان عند حصول الشهوة، وتمنى تدفع وتراق ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: يصير النطفة علقة حمراء ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: فخلقه الله فسواه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي: إذا كان كما ذكر وقد جعل الزوجين الذكر والأنثى لأجل التناسل فلا يتفكر في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: لا يمتنع منه شيء وهو القادر على كل شيء، والإعادة أهون من البداية، ويحسن عندما يصل إلى هنا إلى آخر السورة، أن يقول: بلى وأنت على كل شيء قدير. كذا، أو اللهم بلى، وروي أن رسول الله ﷺ، كان يقول إذا قرأها: سبحانك بلى، تمت والحمد لله.

تفسير سورة (المدثر)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ المدثر لابس الدثار وهو الالتحاف بثوب عند اضطجاعه، قيل: هي أول سورة نزلت، وقيل: بعد المزمل، وقيل: بعد أقرأ: عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ، قال: «كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد أنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري، فلم أر شيئاً فنظرت فوق فإذا ملك بين السماء والأرض، فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾» الخ وقيل: إنها اجتمعت قريش ودار بينهم الكلام في شأنه، فأجمعوا على أنه ساحر، فلم يلق أحداً منهم رسول الله إلا وقال له ياساحر فغمه ذلك فرجع إلى منزله فدثر، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي حذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخص ربك بالتكبير لتقدم المعمول، أي: عظِّمة وقيل: إنها لما نزلت كبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أمر بالتطهير للثياب لأنه شرط في الصلاة، وقيل: أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ والرجز كل عمل خبيث يسبب للعذاب، ويدخل في ذلك النجاسات تهجر ولا تستعمل ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: لا تعطِ شيئاً وتستكثره، وقيل لا تعط شيئاً وأنت تريد أن يعطوك أكثر من ذلك، وقيل: لا تمنن ولا تسكثر يكون منهياً عنهما، لا تمنن ما أعطيت

من المن، ولا تستكثر ما أعطيت ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ أي: لأجل الله استعمل الصبر، وقيل: على أذى المشركين، وقيل: على أداء الفرائض ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ قيل: هي النفخة الأولى، والثانية وقيل علامة يضعها الله لجمع الناس إما نور وإما صوت، والمعنى: اصبر على أذى المشركين فإنه يأتي القيامة ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ يوم شديد، وأكد العسر بغير يسير لأنه لا يوجد فيه للكافرين أي يسر، وفيه تبشير للمؤمنين، أن ذلك اليوم يسير عليهم حيث نفاه عن الكافرين.

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أي: دعني وحدي مع هذا الكافر الذي اشتد كفره وهو الوليد بن المغيرة، ويكون لفظة وحيداً حال من الله فأنا أجزيك في الانتقامة منه، وقيل: إنه لقب للوليد كان يلقب به لأنه كان وحيد قومه لرئاسته وماله، وقيل: إنه خلقه الله وحيداً لا مال له ولا ولد، ثم أعطاه الله المال والولد، فكفر بنعمة الله وأشرك وأستهزأ بدينه والمال الممدود الكثير ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أي: حضوراً معه لا يفارقونه يستأنس بهم ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ بسطت له الجاه العريض والرئاسة في قومه والمال، واجتماع هذه هي الكمال في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ هذا استبعاد فيقطع الطمع، كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ إنه عنيد، وهذا تعليل لقطع الطمع فإنه قد صار أهلاً لتعذيبه لعناده وشدة كفره، فأبدله الله ذلاً وفقراً وعذاباً ولعنة. ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ أي: سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو كناية عن العذاب المتعب ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾، (قتل)، لعنَ على تقديره، و(عبس) قطب وجهه و(بسر) أي: تحير فما يدري ما يقول (ثم أدبر) رجع عن رأيه واستكبر، فقال: إن هذا إلا قول البشر وسحر يؤثر، وإليك القصة باختصار وهي تفسر الآيات المذكورة:

روي أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد ﷺ

آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا هو من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وأن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى عليه. فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق فتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه قط، يتكهن وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط، وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب، فقالوا: في كل ذلك اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يؤثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحاً، وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه، ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه، ثم زحف مدبراً وتشاوس مستكبراً لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء. تمت.

وقيل: قدر ما يقوله ثم نظر فيه، ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولمّا يدر ما يقول، وقيل: قطب في وجه رسول الله ﷺ، ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ سأدخله سقر وهي من أسماء جهنم، وما أدراك تعظيم وتهويل إنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تبقي عليه بل تعطيه عذابها ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ لا تترك أحداً، لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي أخذ من لوح الهجير والبشر أعالي الجلود، وقيل: يلوح للناس ليروه عين اليقين ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكًا، قيل: أصنافا وقيل: صفوفاً، وقيل: نقباً، وقيل: تسعة عشر ألفاً، ولما سمعوا هذه قال قائل منهم: أيعجز كل واحد أن يبطش برجل منهم، فقال الجمحمي وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوا لي أنتم اثنين فنزل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي لم نجعل رجالاً من جنسكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ليفتتن من لا يؤمن بالله ويستهزء، والفتنة اختبار

وبلوى (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب وهم الذين آمنوا من أهل الكتاب)، لأن عدتهم موجودة في الكتابين ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ أي: يقيناً لأن تصديقهم لهذا يزداد إيمانهم ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ولا يحصل ريب أو شك بعد هذا، حينما يكون هذا مطابقاً لما في التوراة والإنجيل.

﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ أي: شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، ومرادهم الإنكار وأنه ليس من عند الله، لأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص، ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ أي: بذلك يضل الكافرين ويهدي المؤمنين، وإضلال الله للكافرين هو الخذلان وعدم التوفيق بسبب أعمالهم الفاسدة، أي: لا يهديهم بالتوفيق وهو الخذلان، ويهدي من شاء تنوير البصائر لإيمانهم وتصديقهم ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: عددهم وصفاتهم إلا هو، ولا سبيل لأحد أن يعرف ذلك، ﴿ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ أي: ذكر النار، وصفها للتذكر لمن عقل ذكر الله وآمن به.

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾ كلا ردع لمن ينكر، أو كلا إنهم لا يتذكرون، أقسم الله بالقمر وإدبار الليل وبالصبح وإسفاره ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ هذا جواب القسم إنها لإحدى عظائم ما فعلنا، وجليل ما أحدثناه مما جعلناه عبرة وهي ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ أي: الناس جميعاً وكفى بها نذيراً ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ والمراد بالتقدم السبق إلى الخير والتأخر التخلف عنه، قيل: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ فإنهم فكوا أنفسهم بما أطابوه من كسبهم ﴿ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يسأل بعظهم بعضاً أو سئل غيرهم عنهم أو يتساءلون عن المجرمين بقوله: ﴿ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ جوابهم: ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ لم يصلوا ولم يزكوا وكانوا مكذبين ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ أي: الموت ومقدماته.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لأنه لا شفاعة لهم؛ لأن الشفاعة ليست إلا لأهل الجنة، زيادة في إكرامهم أو لمن استوت حسناتهم وسيئاتهم وما بقي له ما تدخله الجنة، كذا قيل والله أعلم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما بالهم عن التذكرة وهي المواعظ والعبر والتذكير ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أي: كالحمر التي فزعت فهربت واستنفرت.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: هربت من الأسد، وهذا تشبية بليغ وجعلهم كالحمير الهاربة، حيث إنهم عن التذكرة معرضين، وذلك ذم لهم ظاهر ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: كتباً منزلة منشورة من السماء وذلك أنهم قالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بكل واحد منا كتاباً من السماء عنوانه من رب العالمين، إلى فلان ابن فلان، نؤمر فيها باتباعك نحو قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ كلا ردع عن هذه الإرادة، ورجوعهم عن اقتراح الآيات، ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ لذلك أعرضوا عن التذكرة ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ وهذا زجر وردع عن إعراضهم، وقال: إنها تذكرة، أي تذكرة بليغة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: تذكره مخافة أو القرآن ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: ما تذكرون إلا بمعونة الله تعالى، وخلق القدر والإيمان من الله تعالى (هو أهل التقوى)، أي: هو الحقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه، فيؤمنوا ويطيعوا، وإذا آمنوا فحقيق أن يغفر لهم، لأنه الرحيم وهو أهل البر والمغفرة والإحسان، وله الفضل والإمتنان.

* * *

تفسير سورة (المزمل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ المزمل هو المدثر، ومعنى المزمل والمدثر واحد، والمتزمل هو الذي تزمل في ثيابه أي: تلفلف بها. روي أن رسول الله ﷺ كان بالليل متزملاً في قطيفة، فنبه ونودي بما يهجي إليه من الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن، فأمره بأن يختار على الهجود التهجد، وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة، والمجاهدة في الله، لا جرم أن رسول الله ﷺ قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر، وأقبلوا على إحياء ليلهم، ورفضوا له الرقاد، وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم، الحديث ينظر فيه فلم يذكر في التخريج.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ قال في المصابيح: قم لصلواتك المفروضة عليك في الليل وإلا قليلاً، فهو دليل على وقت الصلاة أي صلاة، أي صل إن كنت في أمر يعوقك عن صلاة العتمة إلى أن تدخل في الثلث الأخير صلاة فرضك فإن ذلك وقت لها.

ثم قال: (نصفه أو انقص منه قليلاً) أو في أول الليل، (أو زد عليه) أي: بعد إنتصافه وهذه مرحمه من الله لعباده ورخصة لمن شغله شغله، انتهى.

وقيل المراد به التهجد، وكان واجباً عليه، ثم نسخ بالصلوات الخمس

وإنما وقع التخيير في المقدار ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: على ترتيل، وتوئده بتبيين الحروف وإشباع الحركات، ترتيلاً توكيداً لوجوب الترتيل ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هو القرآن ووصف ذلك بالتعلي لما فيه من الأوامر والنواهي، التي هي تكاليف ثقيلة وخاصة على رسول الله ﷺ لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته، ومشقة التكاليف ظاهرة، وقيل ثقيل على المنافقين، وقيل: كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ أي: قيام الليل، والناشئة، قيل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض وترتفع، يقال نشأ من مكانه ونشر، إذا نهض أي: ارتفع، أو العبادة التي تنشأ في الليل، أي: تحدث وترتفع، وقيل هي ساعات الليل (أشد وطئاً) أي: مواطأة القلب اللسان، أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وأشد تمكناً ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: وأشد مقالاً وأثبت قراءة لهدوء الأصوات، ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرفاً وتقلباً في مهماتك وشواغلك، ولا تفرغ إلا في الليل فعليك بمناجاة الله فيه، وقيل: سبحاً أي: فراغاً كبيراً ووقتاً يصلح لما تريد ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك، والذكر يتناول كل ذكر من تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتوحيد، وصلاة، وقراءة، وتبتل أي: إنقطع إليه انقطاعاً، أي تبتل تبتلاً ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مثل كما نقول: والله لا أحد في الدار إلا زيد» أي: لا إله غيره ولا رب سواه وأنه الواحد الذي ليس كمثله شيء ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: كافيا وكفيلاً بما وعدك الله من النصر، لأن الوكيل هو الكافي أي أجعله لك كافياً وكفيلا[1].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ اصبر تحمل ولا تجزع، وأثبت عند الأذى على ما يقولون، أي: يفترون ويكذبون، والهجر الجميل اعتزلهم اعتزالاً حسناً وجانبهم بقلبك وهواك، وخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة كقوله، (وأعرض عن الجاهلين)، وقيل: منسوخة بآية السيف ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ

(١) تبتلاً بدل تبتيلاً لأن مصدر تبتل تبتلاً، ولكنه مثل سلم تسليماً أو سلم تسلماً.

أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، دعني وإياهم فأنا أتولى عقوبتهم، أولى النعمة والمسرة والراحة والتفكة، والنعمة التي أظهرتها عليهم وجعلتها حجة فيهم، وهم صناديد قريش كانوا في نعمة وترفه ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ إن عندنا تنكيلاً بالأغلال والعذاب الشديد، ومن القيود الثقال والجحيم النار الشديدة الحر ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ هو الزقوم الذي يغص به صاحبه ويقف في الحلق.

﴿**وعذاباً أليماً**﴾ أي: عذابا شديداً دائماً عتيداً ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾، والرجفة الزلزال والزعزعة الشديدة، واليوم هو يوم القيامة.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ الكثيب الرمل، والمهيل المنهال الذي لا يتماسك ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى عليه السلام، ويكون هناك تشبيه لأهل مكة ومن إليهم، بفرعون وأصحابه في تكذيبهم موسى عليه السلام، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، أي عذبناه عذاباً وبيلاً، تقبلاً والوابل العصى والضجة ومنه المطر الوابل الغزير العظيم ﴿**فكيف تتقون إن كفرتم**﴾ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، أي: كيف لكم بالتقوى، في يوم القيامة، إن كفرتم في الدنيا، وقيل: كيف تعتذرون ما تخافون هذا اليوم الموصوف بالشدة، يقال في اليوم الشديد: يوم تشيب فيه نواصي الأطفال، وهذا دليل على أن الهموم والأحزان تسرع بالشيب أما يوم القيامة، فهموم وأحزان لا توصف بوصف، نسأل الله السلامة.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ وصف اليوم بالشدة وأن السماء على عظمها منفطر به أي: فيه فما ظنك بغيرها ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أي: واقعاً معلوماً لا يتخلف.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يريد أن الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة وموعظة عظيمة، فمن أحب أن يعود إلى الله بالتقوى، والخشية، ويتخذ له سبيلاً بالتقرب إلى الله والتوسل بالطاعة ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ

﴿تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: أن الله يعلم أنك تقوم أقل من الثلث، وأقل من النصف، وأقل من الثلثين، وهو مطابق للتخيير من النصف وهو أدنى من الثلثين، والثلث أدنى من النصف، والربع أدنى من الثلث ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ﴾ ولا يقدر على تقدير الليل والنهار، ومعرفة مقاديرهما إلا الله وحده، وهذا ظاهر في التهجد.

أما في المصابيح فحمل ذلك على أداء الفرائض وقال: فعلم سبحانه أنهم كلهم لن يقدروا على آداء الفرائض في وقت واحد، مع ما هم فيه من العلاّت التي ذكرنا فمنهم عليل، ومنهم مسافر، ومنهم خائف، ومنهم آمن، لا يصلي أول الليل، وطالب الماء يصلي إذا وجد الماء في أي أجزاء الليل، والخائف يصلي عند انقضاء خوفه، والمريض في وقت إفاقته، في أي وقت من الليل ﴿وعَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ﴾ أي: على إحصاء وقت واحد والثبوت عليه لكثرة الأسباب التي ذكرنا، انتهى.

﴿فتاب عليكم﴾ وهذا عباره عن الترخيص في ترك القيام، المقدر فتاب عليكم وعفى عنكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال في الكشاف: عبر بالصلاة عن القراءة لأنها بعض أركانها، كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر، وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعاً بالصلوات الخمس، أي: بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله يريد سائر الصدقات، أو أدوا الزكاة على أحسن وجه، من إخراج أطيب المال ومراعاة النية، وابتغاء وجه الله أو يريد كل شيء يفعل من الخير أفاد هذا في الكشاف، أما في المصابيح: فجعل القيام في الليل الذي في أول الصورة وآخرها هي الفرائض وقال أيضا: إن آخر الصورة مرتبط بأولها، والمعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ ثم قال: جعل ما جعل من الرخصة في هذه الأوقات

للصلاة فريضة الليل، من العشاء والعتمة، إلى قوله: ولا ينبغي للصحيح يخلف صلاة العشاء عن ناشئة الليل... الخ.

قلت: وقد ذكر الإمام الهادي عليه السلام، معنى هذه في الأحكام ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: وما تفعلوا من خير فهو مكتوب عند الله والتقديم هو خير من عدمه، وأعظم أجراً وأكثر أجرا، وأمر بالاستغفار ورتب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] الآية ونسأله تعالى أن يغفر ذنوبنا إنه على ما يشاء قدير.

* * *

تفسير سورة (الجن)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: قل يا محمد أخبر واذكر أنه أوحي إليه أنه استمع نفر من الجن، أي: استمع القرآن أي: جماعة ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: جيداً محكماً بديعاً، مبايناً لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانية ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب وقيل: إلى التوحيد والإيمان ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ أي: صدقنا به والمراد القرآن وأنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ولن نعود إلى الشرك ولن نتخذ غيره لا صغيراً ولا كبيراً ولا ملكاً، ولا غيره وذلك لتنكير أحد ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تعالى وتقدس ومعنى جد ربنا أي: عظمته تعالت عظمته كقوله: جد فلان في عيني، أي: عظم، أو تعالى ملكه وسلطانه، أو غناه لسعة ملكه ومعنى ذلك أنه تعالى وتقدس: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أو عظم أمر ربنا الذي هو مالكنا عن اتخاذ صاحبة أو ولد ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي أنهم لما سمعوا القرآن، ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا عن الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذ الصاحبة والولد، فاستعظموه ونزهوه عنه، وسفيههم قيل: هو إبليس أو غيره من مردة الجن، والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا﴾ وهو أنا كنا نظن أو كان في ظننا أن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراءهم ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ روي أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في وادي قفر وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الجن والإنس ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بإغوائهم واضلالهم والرهق غشيان المحارم، وذلك بسبب استعاذتهم بالجن فتركوا الاستعاذه بالله، فزادوهم، إثماً وبلاً، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ أي: وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا مشركون أن لن يبعث الله أحداً، أو أن الإنس ظنوا كما ظننتم إذا كان الخطاب للجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ لمسنا أي طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام الملائكة، فوجدناها ملئت حرساً موصوفين بالشدة وشهباً وهم الملائكة الذين يرمون بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ كانت لهم مقاعد في السماء يسترقون ما يسمعون من كلام الملائكة، ثم منعوا من ذلك ورموا بالشهب أي: من يريد ذلك رمي بالشهب، ورصداً مثل الحرس، راصدين متربصين لمن جاء منهم، فيقذفونه بالشهب، عندما يكون من مداناته، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ قالوا: فلا يخلوا هذا وهو منعهم من الشهب، وما شاهدوا من الآفات من أن يكون قد أراد بهم ربهم رشداً أي: خيراً إما من عذاب أو من رحمة، أو من خذلان، أو توفيق، قال بعضهم إنه حدث منعهم بعد مبعث رسول الله ﷺ، وهو أحد آياته، قال في الكشاف: والصحيح أنه كان قبل البعث، وقد جاء في أشعار بعض الجاهلية ولكن كانت الشياطين تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة، حتى تنبه لها الإنس والجن، وقالوا لما حدث هذا ما هذا: إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾أي: الأبرار ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، أي ومنا قوم دون ذلك،

وقيل: أرادوا الفاسدين والطرائق أي: مذاهب مفترقة مختلفة، أو كنا مختلفين في المعرفة بالله والطاعة فمنهم التقي، ومنهم المنافق الرديء، ومنهم الكافر الغوي ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: لن نعجزه في الأرض أين ما كنا، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء، وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً، والظن هنا بمعنى العلم، وأنا قد علمنا فهذه صفة الجن وأحوالهم، وما هم عليه وعقائدهم، ومنهم أخيار وأشرار ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ وأنا لما سمعنا الهدى وهو القرآن، والهدى من أسماء القرآن آمنا به وصدقناه وما جاء فيه وبه، و(من يؤمن بربه) أي: يوحده ويصدق بقوله ووعده، ووعيده (فلا يخاف بخساً) أي: نقصاً في ثوابه وجزائه، و(لا رهقاً) أي: عذاباً وقيل لا بخسا لأنه لم يبخس أحد ولا رهقاً أي ظلماً، لأنه لم يظلم أحداً ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ فأخبر مؤمن الجن أن منهم المسلمون بدينهم، ومنهم القاسطون العادلون عن الطريقة، لأنه يستعمل للقاسط أي: الخارج عن الطريقة، ويستعمل للعدل وهو من قسط وأقسط، وكما قال سعيد بن جبير للحجاج حين قال له: ما تقوله فيّ، قال: قاسط عادل فأستحسنه من سمعه ولكن الحجاج عرف مراده وأنه أراد قاسط ظالم، وعادل خارج عن الحق، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: صاروا من أهل النار وقوداً لجهنم قال تعالى. ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: لو أستقاموا على الطريقة المثلى والمقصود الجن، أو الإنس، والخطاب لهم جميعاً، والطريقة طاعة الله ولم يستكبروا عن السجود لأسقيناهم ماءً غدقاً، أي: غزيراً كثيراً ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾، أي نختبرهم فيه كيف يشكرون على ما خولوا من نعم، ويجوز أن يراد لو استقاموا على ما كانوا عليه من الكفر لأسقيناهم، لنفتنهم لتكون النعمة سبباً لكفرهم، وسبباً لتعذبهم ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ومن يعرض عن ذكر ربه أي: يتركه ندخله في العذاب

يقال: سلك وأسلك أي: أدخل فيه، ومنه (اسلك يدك في جيبك)، عذاباً متصعداً أي عالياً، أي: يعلوه ويغلبه ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ يريد أن المساجد وضعت لله ولعبادته فلا تدعوا وتعبدوا غير الله وقيل: كان اليهود والنصارى في بيعهم وكنائسهم، وهي موضع عبادتهم أشركوا بالله فنهينا عن ذلك ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ أي: يزدحمون عليه متراكمين، تعجباً مما رأوا من عبادته واتباع أصحابه له، قائماً وراكعاً وساجداً، وإعجاباً بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وسمعوا ما لم يسمعوا بمثله، وقيل: لما قام رسول الله ﷺ، يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم، كاد المشركون لتظاهرهم عليه وعداوتهم له يكونون عليه لبداً يزدحمون يريدون هلكته، والله حافظه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ هذا هو كالجواب، والرد على تعجبهم إنما أدعوا ربي وحده، ولم آتكم بأمر منكم، وليس ذلك مما يوجب عداوتكم لي إنما تحق العداوة والتعجب ممن يعبد غير الله ويجعل له شريكاً ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أي: أني لا أملك لكم ولا أستطيع أن أضركم أو أنفعكم إنما الضار والنافع هو الله ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾، لو عندت عن دينهم وأطعت غيره لا يجيرني، فكيف أعدل مثلكم ولن أجد ملجأ وملتحداً مكاناً وموضعاً مستنداً وملجأ إليه، ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ أي: لا أجد إلا ما كلفت به من تبليغ الرسالة وصبراً على القيام بذلك، فإذا فعلته فهو المجير لي وهو الملجأ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ مخلدين دائماً سرمداً ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾، عندما أن يروا ما يوعدون فسيعلمون من هو الضعيف ومن ناصره ضعيف، فناصر محمدٍ ﷺ هو الله الرحمن الرحيم، وناصرهم هو الشيطان الرجيم، وأقل عاضداً، وقائماً معه ومؤيداً له، أمحمد ﷺ أم أنتم، فالموالون الملائكة المقربون وجميع المؤمنين من الثقلين ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾ أمره الله سبحانه أن يقول: لا أدري متى يوم

القيامة، وكم بقي من الدهر اليها، أقريب أم يطول ربي أمده، ويبعد كينونته ووقوعه ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ لا يطلع على ما عنده من علم الغيب أحدا، إلا من اختاره لتبليغ رسالته وهو الذي ارتضاه الله ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾، أي: يدي الذي أرتضاه للرسالة، فإنه يجعل له حفظة، يحفظونه من الجن والإنس، من وساوسهم وأذاهم حتى يبلغ الرسالة والرصد هم الحفظة ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ أي: يكون منهم في التبليغ أمر وصبر وحزم، وفعل، فيقع علمه بأنهم قد فعلوا أي: يحفظهم ليبلغ الرسالة، ليعلم الله وقوع التبليغ وإكماله وهو محيط بجميع أعمالهم، ومحصن له حتى يكون مثبتاً: عنده عدداً كما يحسب العاد العدد، ومعناه الإطلاع والعلم بكل شيء، وهو العالم جل وعلا بكل المعلومات، وهو على كل شيء قدير.

* * *

تفسير سورة (نوح)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ أرسلناه إلى قومه لينذرهم فتكون أن في أن (أنذر مصدرية)، ويصير المعنى أرسلناه للإنذار، ويجوز أن تكون مفسرة لأنه قد تقدم جمله فيها معنى القول وهي أرسلنا والمعنى مستقيم على الوجهين أي: أنذرهم من قبل هجوم العذاب عليهم ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ والنذير المبلغ مع التخويف (مبين)، أي: مظهر لأمر الله ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ﴾ النون هنا محتمل للوجهين في أن أنذر، وهذه مثلها، أي: أطيعوه وقوموا بما افترض عليكم ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾، يقول: إن استقمتم وأطعتم واتقيتم فسيغفر الله ذنوبكم، ويؤخركم إلى أجل مسمى، وهو العمر المقرر لكل واحد قيل ألف سنة، فبادروا في وقت الإمهال قبل أن يحل بكم عذابه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ يقول: إنه يدعوا قومه ليلاً ونهاراً، دائباً من غير فتور، مستغرقاً للأوقات كلها (فلم يزدهم)، يعني: كل ما دعوتهم، ازدادوا عتواً وعناداً، وصدوداً، أسند الزيادة إلى الدعاء مجازاً كقوله تعالى: ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٥] والمؤمنون زادتهم إيماناً.

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ وكلما دعوتهم ليتوبوا فتغفر لهم سدوا آذانهم بأصابعهم

لئلا يسمعوا، وجعلوا ثيابهم فوق رؤوسهم وآذانهم لئلا يبصروا، وكراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله، وقيل: لئلا يعرفهم (وأصروا) أي: أقاموا على المعصية والتكذيب، وأخذتهم العزة عن إتباعه وطاعته، (استكباراً) تأكيد لفرط عتوهم ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: سراً وعلناً مجاهرة ظاهرة.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: أخبرتهم علناً وأخبرتهم سراً بما ينزل عليهم من العذاب إن استمروا على العصيان، وأكدت الحجة عليهم بكل معنى، وكل طريقة ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أمرهم بالاستغفار، أي: توبوا وارجعوا إلى الله، وقدم لهم ما هو أحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة، ترغيبا في الإيمان، وهو ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾، قيل: إنه لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الخصب، ودفع عنهم ما كانوا فيه وارسال السماء لأن المطر ينزل منها، إلى السحاب وقد يطلق السماء على المطر كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

المدرار: الكثير الدرور (ويجعل لكم جنات) بساتين وأنهاراً، وقيل: يرسل السماء على حذف مضاف، أي: ماء السماء ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تأملون لم تقدروا له توقيراً، أي تعظيماً وإعزازاً وإكباراً يريد عليه السلام، مالكم لا توقرون الله وتعظمونه ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ حالات مختلفة وتارات متعددة، من تراب ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم عظاماً ولحماً، ثم أنشأكم خلقا آخر ولا تخافون الله ثم احتج عليهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ خلق الله سبع سماوات طباقاً، أي: طبقة فوق طبقة، وجعل القمر فيهن أي في سماء الدنيا وقال، فيهن وإن لم يكن، في جميعهن لأن بينهن ملابسة، وكما يقال في المدينة كذا، وهو في

بعض نواحيها، وجعل القمر نوراً أي: نوراً فقط لا حرارة فيه، (وجعل الشمس سراجاً) والسراج قد يكون فيه حرارة، قيل: إن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض وهما نورٌ وسراج للكل أي: فيهما انتهى.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ استعير الإنبات بالإنشاء، كما يقال: زرعك الله للخير، وهذه الاستعاره دال على الحدوث، لأنهم إذا كانوا نباتاً فهو أدل على الحدوث والمعنى أنبتكم فنبتم نباتاً والتوكيد فيه واضح ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ أي والله سيخرجكم بعد موتكم، أي: يحيكم بعد الموت والفناء: والبلى، والتوكيد للمصدر واضح ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ أي سوّاها وبسطها لتنتفروا فيها لحوائجكم وليكون مفترشاً ومأوى ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ أي طرقاً واسعة، وقيل: الفجاج الجوانب ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ أي: خالفوا وعاندوا واتبعوا رؤساءهم، أصحاب الأموال والأولاد، وليس لهم في إتباعهم إلا خسارة في الآخرة، وأجرى ذلك مجرى الصفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ أي مكراً عظيماً موصوفاً بالكبر، والماكرون هم الرؤساء ومكراً كباراً، أي: أكبر من الكبير ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاهم ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا﴾ هذه الأسماء لأصنام لهم وهي أكبر أصنامهم وأعظمها، كانوا يعبدونها من دون الله، فقد انتقلت هذه عن قوم نوح إلى العرب، فأما سواعاً ويغوث ويعوق ونسراً فكانت في اليمن، وأما ود فكان بدومة الجندل، وسواع بجوف همدان، وأما يعوق: فكان بخيوان، وأما يغوث: فكان بحمير، وأما نسر: فكان في مراد مذحج، وكان قوم نوح يجلونها ويعظمونها وإن لم تكن عندهم وتآمروا أن لا يخلوا عنها، وخالفوا نوحاً عليه السلام، وقيل كانت أسماء رجال صالحين من ولد آدم، فصور الأصنام بصورهم بتزيين إبليس، وقيل: كان وداً، على صورة رجل، وسواعاً على صورة

امرأه، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسراً على سورة نسر، ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ قيل: الضمير للأصنام فيكون مجازاً، وقيل: للرؤساء الذين كانوا يدعون، إلى عبادة الأصنام، ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ قيل: العبادة لا تزيدهم إلا ضلالاً، وقيل إنها دعوة من نوح وهو أن يخذلهم الله، ثم بعد هذا المكر العظيم أنزل الله عليهم العذاب فقال: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ أي: بسبب خطاياهم أغرقوا وتكون من بمعنى الباء سببية وذهبت النون للإدغام، فادخلوا بعد الغرق ناراً وجعلت لهم موضعاً وقراراً أفاده في المصابيح.

وقال في الكشاف: إنه لم يكن غرقهم وإدخالهم النار إلا بسبب خطاياهم، لا بتكذيب نوح وإن كان التكذيب أكبر خطاياهم وأكد هذا المعنى زيادة ما، وصار المعنى من خطيآتهم ما أغرقوا لأن لهم خطايا كثيرة بكثرة تعنتهم، وادخلوا ناراً عقيب غرقهم، وقيل: إنها نار في الدنيا أي في القبور، وإن لم يقبروا وعن الضحاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب، والله أعلم.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أي: لا تترك على الأرض من العاصين والكفرة دياراً، أي: أحداً يدور لأنها مشتقه من دار يدور وهو أي أصله من ديوار، ففعل به ما فعل بسيد وميت ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه.

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ أبوه لمك بن متوشلح، وأمه شمخابيب أنش، كانا مؤمنين وقيل آدم وحواء، وفيه قراءة ولولدي سام وحام، بيتي منزلي، قيل: مسجدي وقيل: سفينتي، خص ثم عم المؤمنين والمؤمنات والتبار الهلاك، وقيل: إنه لم يكن لهم أولاد، لأنهم أعصموا عن الأولاد أربعين سنة، وقيل: إن الله أهلك الأولاد قبل العذاب بالموت، والله أعلم وأحكم.

تفسير سورة (المعارج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ضمن سأل معنى دعى كأنه قيل: دعا، داع بعذاب واقع كقوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ﴾ [ص: ٥١] وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه النظر بن الحارث الذي قصته في سورة الأنفال بسبب إنكاره على فضائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسأل من السؤال أو السيلان، وعلى المعنى الثاني أي: اندفع عليهم، وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ عذاب واقع ليس له دافع، ولا مانع للكافرين ﴿**من الله ذي المعارج**﴾ وهي المصاعد التي تصعد منها الملائكة إلى السماء ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقيل (في يوم) صلة متصلة بوقوع العذاب يوم القيامة الذي مقداره ما ذكر، (تعرج) أي: تصعد الملائكة والروح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ميزه لفضله، وقيل: الروح خلق لهم حفظة على الملائكة، كما أنهم حفظة على الناس، إليه إلى محل أمره، وقدرت المسافة خمسين ألف سنة مما يعده الناس ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ فاصبر ولا تستعجل النصر، واصبر على أذاهم (صبراً جميلاً) أي احتمالاً جميلاً، أو دائماً لا يدخله خور ولا جزع ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي: يستبعدونه على جهة

الإحالة، ونحن نراه قريباً، هيناً في قدرتنا، غير بعيد علينا ولا متعذر ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ المهل: الحارق من الزيت أو رديئة وقيل كالفضة المذابة، والعهن: الصوف المصنوع ألواناً، لأن الجبال بيض وحمر فإذا نسفت وطارت في الهواء، أشبهت العين المنفوش إذا طيرته الرياح ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يسأل بكيف حالك، أو نحوه، لأن مع كل واحد ما يشغله، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يبصروهم ويرونهم فلا تخفى حالة كل واحد، ويعرفونهم لكنه مشغول، عن المسألة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ أي يود لو يفتدي بهم ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وكان الافتداء مقبول ينجيه، أو من في الأرض يتمنى لو كان ما ذكر تحت يديه يفدي بهم نفسه لفعل وهيهات أن ينجيه شيء وبينه هم أولاده الذي كان يقدم نفسه عليهم، في الدنيا وصاحبته زوجته، وأخيه ابن أمه، وفصيلته أمه أو عشيرته التي تأويه تحصنه أو تحميه في النوائب.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ لا يقع أيُّ نجاه، كلا رد للمجرم عن الإرادة والافتداء بها لظى فهي جهنم وسميت لظى لتلهبها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي: أكالة للشوى وهو الجلد، وقيل: جلدة الرأس تنزعها نزعا ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ مجاز عن حضورها فكأنها تدعوهم، والمدبر هو المعرض عن الله والمتولي عنه قيل تدعوا الكافرين والمنافقين، بلسان فصيح تقول: إليَّ إليَّ يا كافر يا منافق، ثم تلتقطهم التقاط الحب، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي: جمع المال في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة، ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ الإنسان الناس والهلوع سرعة الجزع، عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير، من قولهم: ناقة هلوع، أي سريعة، وقيل: قد فسره الله بأبين تفسير، وهو إذا ناله شرٌّ أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس، والخير المال والغنى، والشر الفقر أو الصحة والمرض، وهو أن الغنى إذا صح بخل بماله، وإذا مرض جزع ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾

أي: يحافظون عليها بكمالها، ولا ينشغلون عنها بشيء من الشواغل، ولذا قال ﷺ: (أفضل العمل أدومه وإن قل)، والمحافظة قيامهم بها مع إسباغ الوضوء ومواقيتها، ويقيمون أركانها ويكملونها بسننها، ويحفظونها من موجبات الإحباط، و﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ وهو الزكاة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ يوم القيامة ويصدقونها بأعمالهم الصالحة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ يشفقون يخافون ويخشون العذاب، ويخافون من الله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي: لا ينبغي لأحد وإن أكثر في الطاعة وبالغ واجتهد أن يأمن من عذاب الله، بل يكون بين الرجاء والخوف كما قال:

بين الرجاء والخوف قلب التقي مقيم

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ أي يحفظون فروجهم أن يضعوها في غير ما أحل الله لهم ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ الاستثناء هنا بمعنى ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ والمملوكات فلا يحفظونها فهي حلال لهم ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ أي من ابتغى لفرجه غير الحلال، وذلك من البغي ﴿ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي غير من ذكر من الحلال فهم عادون معتدون، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ والآمانات أنواع، أمانة الله عندهم فيما استرعاهم من حقه وفرضه، ومنها: ما تحمله العلماء من العلم يؤدوه إلى نظرائهم، ومنها: ما استأمنهم عليهم من أموالهم يؤدون حقها، ومنها: ما يستأمن الناس عليه بعضهم بعضا من ودائع وأموال، وغير ذلك، من سر وغيره.

والعهد هو ما أخذ الله على الخلق من التصديق بأنبيائه وكتبه وفي القيام مع أوليائه والنصر لهم، وما أخذ عليهم من وجوب، التعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، ومعنى راعون حافظون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ الشهادة من جملة الأمانات إلا أنه خصها، لفضلها لأن فيها وبها حفظ الحقوق، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ تقدم تفسير الحفظ للصلاة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكۡرَمُونَ﴾ مكرمون معظمون، مثابون منعمون ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ أي: مالهم عندك، مطأطئين رؤوسهم لا ينظرون إليك، قيل: كانوا، يحتفون عند رسول الله ﷺ، حلقاً حلقاً، وفرقاً فرقا، يسمعون ما يقول، ويستهزؤون بكلامه، وقيل: مهطعين أي: مسرعين نحوك مقبلين بأبصارهم عليك ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ أي: متفرقين جماعات قيل: كان المستهزؤون خمسة أرهط ﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴾ أي: يأمل، ويرجو كل امرء منهم أن يدخل جنة نعيم، وهذا أمل كاذب، ورجاء خائب، و﴿ كَلَّآۖ ﴾ ردع وزجر عن هذا الأمل ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ من النطفة المهينة الضعيفة، القادر على أن يبدل خيراً منهم وما بالهم وإنكار البعث، وقد عرفوا مما خلقوا ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ* عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ فلا أقسم أي: أفلا أقسم كما تقدم، والمشارق والمغارب مشارق الفلك ومغاربه، بأن له منازل التي يحلها الشمس والقمر، وتطلع منها وتغرب، وجواب القسم (**إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم**)، أي: نذهب هؤلاء ونأتي بخير منهم وما نحن بمسبوقين، أي يسبقنا أحد يفوت أو يهرب فلا نناله ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: دعوهم وآمالهم يكذبوا ويترددون في الضلال، وقال يلعبوا لأن اللعب الأمر الذي لا ثبات له ولم يأت شيئاً منه على وثيقة ﴿ كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾، قيل النصب شيء من الشعر، تضرب فيه بأصواتها فإذا سمعوه أقبلوا إليه، وقيل النصب ما ينصب ليوسد ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أبصارهم خاشعة منكسرة غير مسرورة، قد خشعت أبصارهم لهول مارأت وترهقهم تغشاهم الذلة وهي الخزي والمذلة، وذلك حينما أيقنوا بالعذاب، فقال جل وعلا، (ذلك) أي: الذي قد ذكر في اليوم (الذي كانوا يوعدون)، وهو يوم القيامة، الذي كانوا يكذبون به.

اللهم صلى على محمد وآله ووفقنا ونجنا من النار يا عزيز يا غفار.

* * *

تفسير سورة (الحاقة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الساعة الواجبة الوقوع، من حق إذا ثبت، التي هي آتية لا ريب فيها، أو التي هي من خوارق الأمور من الثواب والعقاب والحساب ولفظ الحاقة مرفوع على الابتداء، وخبرها ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ ومعنى ما أي، أيُّ شيء هي تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ أي: وأي شيء يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، بحيث إنه يبلغ من الشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ والقارعة هي التي تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ الطاغية: الواقعة المجاوزة للحد، في الشدة واختلف فيها فقيل: هي الرجفة، وقيل: الصاعقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الصرصر: الشديد الصوت، لها صرصرة وقيل: الباردة من الصر التي تحرق الأشياء ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العصف والعتو بمعنى عتت عليهم فما قدروا أن يردوها بحيلة، من استتار ببناء أو بأي وسيلة، وقيل: عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن، روي عنه ﷺ: ما أرسل الله سفينة من ريح ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح

فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ وأن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يعني ثمانية أيام بلياليها، إلا اليوم الأول، فتكون ثمانية، لسبع ليال، والحسوم أي: حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، أو متتابعة كرة بعد كرة، وسخرها سلطها عليهم، ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الخاوية: اليابسة ليس فيها حياة، وفي ذلك تمثيل للضعيف لأن أعجاز النخل إذا يبست تكون أضعف شيء.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: هل ترى منهم من أحد أو يرى لهم شيء باق، بل ذهبوا بما معهم ولم يبق شيء ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ (جاء فرعون ومن قبله)، قيل: جنده أو ما تقدم والمؤتفكات قوم لوط بالخطأ، أو ذات الخطأ العظيم ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أنزل بهم نقمته، (أخذه) أي بطشة، ورابية شديدة زائدة في الشدة من الربو الذي هو الزيادة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ أي: حملنا آباءكم في الجارية أي: في السفينة ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: نصيرها ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي: ذكرى لكم وحجة وعظة وعبرة ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي: التي من شأنها، أن تعي وتحفظ ما سمعت ولا تضيعه بترك العمل، بل هي إذن مؤمنة مصدقة بكتب ربها ورسله وآياته ونذره قد روي أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ في الصور وهي النفخة الأولى، وقيل النفخة الثانية، وترجع الأرواح بقدرة الله ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: رفعت من جهتها بريح، قيل: تحمل الأرض والجبال، أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: الأرض والجبال وضرب بعضها ببعض حتى تندك، وترجع كثيباً مهيلاً، وهباءً منبثاً، والدك أبلغ من الدق، وفي ذلك إشاره إلى قدرة الله ونفاذ أمره ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: نزلت النازلة، وهي القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي انفطرت وذهبت ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ

وَاهِيَةٌ﴾ مسترخيه، ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ والمراد الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ على جوانبها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي يقوم به ويأمر وينهى بأمر الله ونهيه، والعرش هو الملك وهو جميع ما خلق الله، في الدنيا والآخرة، ومعنى فوقهم أي: منهم.

ويومئذ يوم القيامة وثمانية قيل: يمكن والله أعلم أن يكونوا ثمانية آلاف أو ثمانية أصناف من الملائكة المقربين، ينفذون أمر رب العالمين في ذلك اليوم، وحملهم هو قيامهم فيه بأمر الله وإنفاذهم لحكمه، ومجازاتهم لخلقه بأمره.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ تحاسبون والعرض والإطلاع على أعمال الخلق، وذلك عبارة عن المحاسبة، ولا يخفى من أعمالهم شيء، ولا يغيب منكم أحد ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ أما للتفصيل كأنه قال: ينقسم الخلق إلى قسمين الأول من أوتي كتابه بيمينه ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ ومعنى (هاؤم) أي: خذوا، والهاء للسكت، وكذا في الأربع الآيات، والوقف على كل واحده أفضل وهي كتابيه، حسابيه، وماليه، وسلطانيه، لثبوت هاء السكت.

وفي المصابيح: فالكتاب هو الحساب وما أحصاه عليه ملكاه، وأوتي أوقف وبين له أمره وأظهر عليه فيه سره، ويمينه فهو اليمن والبركة لما يلقى من البشارات.

﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ يقول لما يحاسبه من الملائكة، أي: فسروا حسابيه واشرحوا استبشاراً منه بذلك ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى﴾ أي إني أيقنت بالدنيا أني سألاقي عملي، ﴿مُلَٰقٍ﴾ معاين ﴿حِسَابِيَهْ﴾ أي: المناقشة على أفعالي ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في الحياة الرضية، والنسبة إلى الرضاء من المجاز العقلي، أي راض صاحب العيشة، وفسر ذلك بقوله: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة القدر، أو الدرجات أو المباني أو القصور، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي ثمارها قريبه لانتوالها للقاعد والقائم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ سليماً من كل آفة بل هنيء مساغ، لا مخالفة

فيه ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ بما قدمتم من الأعمال ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ من أيام الدنيا التي مضت وانتهت وفنيت ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ فهو القسم الثاني، وهم أهل الشمال حوسب على أعماله ونوقش، وأعطي كتابه بشماله، وهو الذي قد كتب فيه كل أعماله إن كان حقيقة، أو أحصي عمله وأوقف عليه، وبين له، وشماله هو الشؤم والشدة، فهنالك يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ أي: وودت أني لم ألق سيء عملي.

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ ولم أطلع على شيء من عملي ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ أي: الموتة، التي قضت عليّ أي: دامت فلم أبعث بعدها، ولم ألق ما لقيت ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾ أي: لم يغن عني شيئاً ولم ينفعني ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ أي: ذهب عني سلطانية، الذي كنت أتسلط به على الناس، وقيل: عن ابن عباس: ضلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا.

ثم أخبر سبحانه ما يكون من أمره ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي: أوثقوا يده إلى عنقه، أو رقبته ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي أصلوه وأدخلوه النار العظمى ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ﴾ أي: سلسلة من حديد، ذرعها: طولها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾، أي: أجعلوها في عنقه، وقيل: تلتف على جسده، كله وهو مرهق مضيق عليه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: لا يصدق بالله وموعده ووعيده، ولا ببعثه، فهذا جزاؤه، وكان لا يحض على طعام المسكين، أي: لا يأمر ولا يفعل ولا يؤدي زكاة ماله للمسكين، ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ﴾ أي يوم القيامة ليس له أي صديق مانع وقريب دافع، ونفى وجودهم بعدم منفعتهم كما قال تعالى ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ [المعارج: ١٠] لا هنالك نافع ولا دافع، ولا من يرحم، ولا من ينفع، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾، قيل هو غسالة أهل النار وما سيل من أبدانهم، وقيل شيء لا يزيد أكلهم إلا جوعا وبلا، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ أهل الخطايا والمعاصي، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ أي بما تشاهدون مما في أثر قدرتنا، وعجيب صنعتنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ وذلك للإحاطة بجميع الأشياء مبصر وغير مبصر فقيل الدنيا

والآخرة، ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ هذا جواب القسم، وهو أن ما قد ذكر في هذه الصورة وغيرها، أنه الحق، وأنه صدق واقع، لا ريب فيه، ولا شك وأنه رسولنا، كريم، صادق، وعطف على جواب القسم قوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ من أهل الشعر ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ لكثرة كفركم وعنادكم ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ أي: ليس بقول كاهن، ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ والعلة هنا بمعنى العدم والمعنى: ما أكثر كفركم، وهو عدم الإيمان وما أكثر غفلتكم أفلا تتذكرون، فما أكفركم، وما أغفلكم.

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وهذا بيان لقول الرسول ﷺ، وأنه قول نزل من رب العالمين ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ التقول من التفعل، وهو التكلف بالقول ﴿ بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ هي الأقوال الباطلة الكاذبة ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ أي: القوي المتين، ولا أخذنا بيمينه، وانتقمنا منه ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ نياط القلب، وقيل: حبل الوريد، التي يقطعها ويصير ميتاً ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه، وليس منكم، من يقدر على دفع من أراد قتل رسول الله ﷺ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ لتذكرة وعظة وعبرة لمن صدق به ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ أي: غير مؤمن به وبغيبه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ والحسرة هي الندامة والتأسف البالغ، على ما فاتهم، من تصديق القرآن، أي وأنه أي القرآن حسرة على المكذبين.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: يقين حق اليقين، كقولك: هو العالم حق العلم، والمعنى: عين اليقين ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: سبحه وكبره وقدره وقدسه، ونزهه، وربك هو خالقك العظيم الجليل عظيم القدرة، الذي ليس له شريك في الملك سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

* * *

تفسير سورة (القلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أقسم الله سبحانه بالنون والقلم وما يسطرون، لعظمة هذه الأشياء، أما النون فهو الحوت الذي التقم يونس عليه السلام، وفيه من القدرة الباهرة والبالغة حيث التقمه الحوت وبقي في بطنه حياً لمدة يعلمها الله تعالى، كأنه قال أقسم بالحوت، وأقسم بالقلم تعظيماً لهما، أما الحوت فهو حوت عظيم، ولذا بقي يونس في بطنه حياً، وأما القلم فلما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بوصفها الواصف ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما يكتب من كتب، وقيل: ما تستره الحفظة، ويجوز أن يراد في القلم أصحابه، فيكون الضمير في يسطرون لهم، كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم، أو الحفظة، وقيل: تنبهاً لهم على النعمة فيما دبره من حروف المعجم، أعني حروف الهجاء التي يحصل بها الكتب، والكلام ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم أي: ما أنت كما يقولون ساحر ومجنون، بل أنت بنعمة الله عليك رسول مبين، ولست بمجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ لثواب غير مقطوع، كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] لأنه ثواب تستوجبه على عملك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وهو ما جعله الله لك من الأخلاق التي منّ الله بها عليه، وهو الخلق الذي أمره الله به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ سوف ترى ويرون صدق قولك، وما تخبر به من

العيان، وغير ذلك ﴿بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ أي: أنت أم هم، وهو تعريض بأبي جهل بن هشام، وللوليد ابن المغيرة، واضرابهما الذين كانوا يقولون بأنك مجنون ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، أي: بالمجانبين على الحقيقة، وهم الضالون، عن سبيل الله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الثابتين على سبيله وطريقته ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ فلا تسمع لقولهم، ولا تركن عليهم ولا تخف وعيدهم، وقيل لا تطعهم في قولهم، الذي يقولون به، وهو أنهم أرادوا أن يعبدوا الله مدة، وآلهتهم مدة ليكفوا عنه غوائلهم ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾ أي: تصانعهم في شيء فيصانعونك، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: فهم يدهنون ولذا رفع وهو في جواب التمني، لأنه على الاستئناف، تأمل.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ أي: كثير الحلف في الحق والباطل، وفيه إشارة وزجر عن كثرة الحلف كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، كذا في الكشاف ﴿مَّهِينٍ﴾ من المهانة، وهي الحقارة والذلة، أو أراد الكذاب لانه مهين عند الناس ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب طعان، يؤذي الناس بلسانه ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث من قوم إلى قوم، ليلقي سم العداوة والإفساد، بنقل السر ونحوه قصداً للإفساد ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل والخير هو المال قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي، كان مؤسراً، وله عشرة أولاد، وكان يمنعهم من الإسلام ويتهددهم، بمنع رفده لمن أسلم وقيل هو أبو جهل، وقيل الأسود بن عبد يغوث، ﴿مُّعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ مجاوز في الظلم حده وكثير الآنام، ﴿عُتُلٍّ﴾، غليظ جاف سيء الخلق والأفعال، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع ذلك فهو ﴿زَنِيمٍ﴾، وهو الدعي ولد زنا، قيل: إن الوليد كان دعيا في قريش، إدعاه أبوه وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت الآية فعرف أنها نطفة خبيثة ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يعني لا تطعه إن كان ذا مال مع هذه الخصال، التي فيه ﴿وَبَنِينَ﴾، أي: وإن كان صاحب مال وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: إذا قرىء عليه القرآن: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أحاديث الأولين الأقاويل

للمكذبين، ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الوجه أكرم شيء في الجسد، ولذلك، جعلوه مكان العزه والحمية، واستقوا منه الأنفة، يقال شمخ بأنفه، وحمى أنفه، وفي الذليل جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة بالوجه شين، وفي لفظ الخرطوم استخفاف وإهانة، وقيل: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أي: أهل مكة بالقحط والجوع، بدعوة رسول الله ﷺ عليهم. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة، كانت لأبيهم، وهي قريبة من صنعاء، نحو فرسخين، فكان يأخذ منها قوت سنتين، ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين. ما أخطأه المنجل، وما في أسفل الأكداس، وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط، الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع لهم كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا مثل أبينا ضاق علينا الأمر، لأنا ذو عيال ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح أي مبكرين، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون: إن شاء الله، (فطاف عليها طائف)، أي: هلاك من ربك ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي مصرومة، هالك ثمرها، والصرم القطع، أي مقطوع ثمرها وقيل: الصريم الليل أي: احترقت فسودت، وقيل النهار، أي: يبست، وذهبت خضرتها، (فتنادوا مصبحين)، أي: تداعوا في الصباح الباكر، ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي مكان الحرث، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي حاصدين، ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: مضوا وهم يتشاورون بالخفية، ويتناجون، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: لا يصلون إليكم، لكي لا يعطيهم شيئاً ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي على منع، أي عزموا على أن يحرموا المساكين من العطاء ﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: وهم قادرون، على نفعهم، فغدوا بحال فقر وذهاب مال، أي أنهم طلبوا حرمان المساكين، فتعجلوا الحرمان، أو لما خبثت نيتهم، عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم، وحرموا خيرها، **(فلم يغدوا على حرث)** وإنما غدوا على حرمان، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي غالطون، لما رأوها هالكة محروقة قالوا هذه ليست جنتنا، فلما تثبتوا وعرفوا حدودها، قالوا ﴿بَلْ نَحْنُ

مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي لولا تذكرون الله سبحانه وتعالى، أي كأنه قد قال لهم، عند هذه العزيمة الخبيثة فعصوه، فعيّرهم فتكلموا بما كان يقول لهم وبعد إقرارهم بالخطأ.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: اعترفوا ونزهوا الله عن الظلم، وأن ذلك لسبب منعهم للمعروف وترك الاستثناء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ أي يلوم بعضهم بعض، يقبحون فعالهم، وآراءهم وكان بعض منهم قبل، ومنهم من منع بالكف، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت وهو راض ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ أي: يا ويحنا من هذا الأمر إنا قد طغينا، وتعدينا فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ أي: رجعوا إلى الله، ورجوا عفوه ومغفرته، وأن يمن عليهم، بأن يبدلهم، خيراً منها، (إنا إلى ربنا راغبون)، راجعون، تائبون، منيبون، والله هو الغفور الرحيم.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أشد وأعظم، وقد اختلف في أصحاب الجنة هم من أهل الجنة، أم من أهل النار، وقد قيل: إنه أبدلهم بجنة، فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا، ويقال لها الحيوان، عن ابن مسعود رضي الله عنه، بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم جنة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: جنات ليس فيها إلا النعيم الخالص، لا يشوبها ما ينغص.

ثم أخبر سبحانه أن الفريقين لا يستوون، فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: نسوي في الحكم، والفعلِ بين من كان مسلماً ومن كان مجرماً، كان كفار قريش مع ما هم فيه من رغد العيش، وسعة الحال، ووفور حظوظهم في الدنيا، مع قلة حظوظ المسلمين، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا: أنبعث كما يزعم محمد ومن معه ولم يكن حالنا وحالتهم إلا كما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا، ولم يفضلونا، فأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل

لهم: أنحيف في الحكم، ونزلت الآية، ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف يحكمون بهذا الحكم الجائر المخالف للعقل والنقل والفهم، أو الأمر مفوّض إليكم تحكمون كما شئتم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ * فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الصافات: ١٥٦، ١٥٧] أي: ألكم كتاب تدرسون فيه هذا الحكم الذي تزعمونه، وهذا الأمر الذي تفكرونه: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي إن كان لكم كتاب فلكم ما تخيرون، أي: تختارون ما تحبون، يقال يخير الشيء، واختاره أخذ خيره ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أم ضمنا لكم، وأقسمنا لكم أيمَاناً مغلظة متناهية في التوكيد، و﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ وإن لكم يوم القيامة بهذا الذي ذكرتم، من أنكم غير معذبين، وأن المجرمين في الحكم عندنا كالمسلمين، ثم قال سبحانه وتعالى لنبيه ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: في ذلك الحكم (زعيم)، أي قائم به وبالاحتجاج به، والزعيم: المتكلم عن القوم المتكفل عنهم والقائم بأمورهم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ أي ناس يشاركونهم في القول، ويوافقونهم عليه، ويذهبون مذهبهم ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ أي يأتوا بهولاءِ الشركاء ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم وهذا من الله إبلاغ للحجة، وتبكيت لهم وليعرفوا عجزهم عن دعواهم وأنهم في غاية الضلال، والتكمه في الباطل، والميل عن الحق والصواب.

ثم عاد جل وعلا يخبر عن حالتهم يوم القيامة فقال:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ الكشف عن الساق، مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب في معنى يشتد الأمر، ويتفاقم هوله، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة، كما تقول العرب اقامت الحرب على ساقها، يريد أنها على أمر شديد، وتنكيره للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة، منكر خارج عن المألوف، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] كأنه قيل: يوم يقع أمر مفظع هائل.

﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يدعون إليه توبيخاً وتعنيفاً، لأنه لم يكن هناك تعبد بالسجود، وإنما المراد تعنيفهم وتوبيخهم على تركهم السجود في الدنيا، وهم يستطيعون، وإنما ذلك مع أنه قد حيل بينهم وبين الاستطاعة تحسير وتنديم ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ فزعة مرعوبة ذليلة، خشع ذل واستكان ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي تعلوهم وتغشاهم فهم أذلاء هالكون أخزياء ﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ كانوا مستطيعين قادرين على طاعة الله تعالى: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي دعني وأفردني لعقوبة من يكذب بالقرآن، الذي أنزلناه عليك وبما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه، واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ووسيلة إلى زيادة الكفر والمعاصي ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم، لأنهم يظنون أنه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين هو سبب لإهلاكهم ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ﴾ وأمهلهم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴾ والصحة والرزق والامداد في العمر إحسان من الله يوجب الشكر له تعالى على ذلك، ولكنهم يجعلونه سبباً في الكفر باختيارهم، فإذا وصلوا إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج، وقيل: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه ﴿ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ والكيد هنا هو الإنعام والإحسان، والتمكن للقادر ليفعل ما شاء وسمي كيداً كالاستدراج لكونه في صورة الكيد، لما كان سبباً للتورط في الهلكة، ووصف المتانة لقوة أثر الإحسان في التسبب للهلاك فكان كيداً متيناً قوياً له الأثر البالغ ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ أي: هل تطلب منهم أجراً أي: جعلاً على ما جئتم به من الهداية وما تدعوهم إليه من التقى والخلاص من العذاب، أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم، فيثبطهم ذلك على قبول ما جئتهم به ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ أي: علم الغيب ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ منه ما يرون ويعرفون ما يرجعون إليه ﴿ فَٱصْبِرْ

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخيرهم من العذاب، وارض بما حكم الله من الصبر وتبليغ الشريعة وما حكم عليك ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: في بطن الحوت والكظم هو إمتلآء الإناء والمعنى لا يوجد منك من الضجر والمغاضبة فتبتلى بمثل بلائه ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: لولا أن منّ الله عليه بالتوفيق للتوبة وإجابة دعائه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ولكن الله من عليه بالتوبة وقبول الدعاء، فنبذ في حالة وهو غير مذموم ولولا ذلك لنبذ بالعراء وهو مذموم، وجملة (وهو مذموم) اسمية حالية وذلك واضح ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي رفعه وأدناه وقرباه واصطفاه ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من الذين أصلحوا ما بينهم وبين الله، وجعله نبياً ورد الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ يقال: زلقه وأزلقه أي: أزاله، ومنه زلق الرأس وأزلقه أي حلقه، يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلقون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظرا إلي نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي لو أمكنه بنظرة الصرع أو الأكل لفعله وقيل: كانت العين في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام، فيمر به شيء فيقول لم أر مثل اليوم رجلاً فيصيبه، وأراد بعض العائنين على أن يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلاً فعصمه الله ونجاه، وعن الحسن دواء الإصابة بالعين هذه الآية، والله اعلم.

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن لأنه من أسمائه أي لم يملكوا انفسهم حسداً على ما أوتيت من النبوة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ لما عجزوا وتحيروا في أمره تنفيراً عنه، وإلا فقد علموا وعرفوا أنه أعقلهم، والمعنى: أنهم جننوه لأجل القرآن.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظة وذكرى. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ فكيف يكون مجنوناً من جاء بمثل ما جاء به، بل إنه نور وهدى وداع إلى الله بالحسنى للمخلوقين جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة (الملك)

وتسمى الواقية والمنجية لأنها تُقي وتُنجي قارئها من عذاب القبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ تبارك وتعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وتقدس وتنزه عما يقوله المشركون ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على كل ما لم يوجد وهو داخل تحت القدرة، فهو قادر على كل شيء وذكر اليد مجاز وهو عبارة عن الإحاطة بكل شيء والاستيلاء عليه؛ لأن كل شيء فهو في قبضته وتحت قدرته ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ الحياة ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل: الذي يصح منه أن يعلم ويقدر، والموت عدم ذلك والمعنى خلق حياتكم وموتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: يختبركم ويسمى علم الواقع منهم باختبارهم بلوى، وهي الخبرة كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وصوابه فالخالص، أن يكون لله ولوجه الله لا غير، والصواب أن يكون مطابقاً للسنة النبوية قيل: إن رسول الله ﷺ تلاها فلما بلغ قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، والمعنى أيكم أتم عقلاً عن الله وفهما لأعراضه، والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط

عليكم الموت الذي هو يدعوكم إلى اختيار العمل الصالح، لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه، ولذلك قدم ذكر الموت على الحياة لأنه أقوى داع إلى العمل، وفيه وجل وخوف، وقيل: من نصب الموت بين عينيه قاده إلى كل خير وذاده عن كل شر والله الموفق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب الذي لا يعجزه شيء القادر الذي ما أراده كان.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾ مقيل العثرات، قابل للتوبة، غافر الذنوب جل وعلا رحمة منه وفضلاً ونعمة على خلقه وهو أن يقبل توبة التائبين ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ خلق وفطر وأوجد لقدرته وحكمته وحسن تدبيره سبع سموات طباقاً بعضها فوق بعض من المطابقة، وهي المساواة، سماء فوق سماء إلى السماء السابعة ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: من اختلاف واضطراب ولا تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة، وذكر الرحمن بدل الضمير تعظيم لخلقهن وتنبيه على سلامتهن من التفاوت لأن ذلك خلق الرحمن الذي لا يعجزه شيء ولأن ذلك بباهر قدرته، والخطاب فيما يروى للرسول ﷺ، أو لكل مخاطب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أي: ارجع في النظر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شك أو ريب ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: من صدوع أو شقوق أو اختلاف أو غير ذلك مما يقتضي عدم الحكمة والتدبير ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أمر من الله تعالى بأن يكرر البصر ويتأمل فيهن متصفحاً ومتتبعاً، يلتمس هل يرى عيباً أو خللاً ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: إذا فعلت ذلك من تكرير النظر سيعود بالخسور والخسور أي: بالبعد عن إصابة الخلل والعيب، أي يرجع بالاعتبار والكلال، وقيل: الخاسي الذليل المتصاغر لنفسة الموقن بصحة ما نظر إليه ووقف على جليل قدرة الله تعالى، والحسير المنقطع الذي قد جهد في الشيء فلم يفز فانحسر عن طرح ما أراد بلوغه وما أدركه ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: القربى لأنها أقرب السماوات إلى الأرض إلى الناس، أي: السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج، سميت بها الكواكب لإضاءتها، وكأنه قال: ولقد زينا

سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح عظيمة لأجل التنكير لإبرازها، وليس مثلها إضاءة وفيها منافع أخرى ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات علامات ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر، قيل: جعل الله النجوم لثلاث زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، والرجوم جمع رجم، ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب، لا أنهم يرجمون بالكواكب نفسها لأنها قارة في الفلك على حالها، وما ذلك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة مكانها كاملة لا تنقص، قيل: إن من الشياطين المرجومه من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: في الآخرة بعد عذاب الإحراق بالشهب.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أي: ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ أي إذا طرحوا فيها وصاروا حصب جهنم كما قال تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ إما لأهلها بعد طرحهم فيها أو من أنفسهم لقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] وأما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق الذي سامعه ما يسمعه من حنينه ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بهم غليان المرجل ترفعهم تارة وتحفضهم أخرى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تميز أي تتقطع، قطعا من الغيض على من عصى الله، ثم جعلت كالمغتاظة لشدة غليانها بهم وسرعة إحراقها لما يقع فيها، وذلك تشبيهاً بالمتغير الغضبان، الذي قد داخله من الغيض أمر كبير ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي طرح فيها جماعة كبيرة، لأن الفوج يطلق على الجماعة الكثيره ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ أي: سألتهم الخزنة، من الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم، ويقال لهم الزبانية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي ألم يأتكم من ينذركم، ويخوفكم هذا العذاب ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: أقروا اعترافاً منهم، بعدل الله وأن الله أزاح عنهم بأن بعث إليهم رسولاً يحذرهم وينذرهم ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ إقرار واضح على أنهم في ظلال مبين ﴿إِنْ أَنتُمْ

﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ الظاهر من هذا أنه من كلام الكفار، كانوا يخاطبون الأنبياء بهذا اللفظ، وقيل: يمكن أنه من كلام الخزنة بعد إقرار الكفار، بأنهم قد أنذروا وكذبوهم، قالت الملائكة الخزنة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: لو كنا نسمع في حياتنا قول الأنبياء ونتبعهم فيما قالوا، ونصدقهم أي: نسمع سماع الطالبين للحق، أو نعقل عقل متأمل، وقيل: إنما خص العقل والسمع، لأن مدار التكليف عليهما ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي اعترفوا بكفرهم وتكذيبهم للرسل فسحقاً لهم أي: بعداً لهم، ولا ينفعهم الآن الاعتراف، لأن الفرصة قد ذهبت، ولم يبق في الآخرة تكليف ولا قبول للأعذار، كما ورد (ليس على الله بمستعتب)، أي: لا يكون هناك عتب ولا قبول معذرة.

ثم عاد الكلام إلى صفة المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يخشون الله ويتقونه، ويخافون عقابه، بالغيب أي في الغيب أي سرهم، وما تغيب من أمرهم مستتراً عن الناس من أفعالهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: لهم غفران من الله ورحمة وكرامة ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ثواب عظيم، كثير كبير خطير، ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾، يقول: أسروا قولكم أو اجهروا به سواء الإسرار والجهر عند الله لأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبدون، وما تكتمون، أي: سواء ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تسره الضمائر، ويعلم ما في القلوب، أي: ضمائرها قبل أن تترجم الألسنة ما فيها، فهو يعلم من أسر القول ومن جهر به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا استفهام إنكاري أي: كيف لا يعلم ولا يحيط بالمسرور والمجهور من هو الخالق للإنسان، والأشياء والجبال ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي أطلع على ما ظهر من خلقه وما بطن وقيل كان المشركون يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيقولون: أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد، فنبه الله على جهلهم وأن الله يعلم سرهم ونجواهم، أي: يعلم ما تكنه الضمائر، وما يقع من الإسرار بين الاثنين فأكثر.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ أي: خلقها وسواها، ذلولاً أي: مطيعة لا تمنع من أراد بها شيئاً من حفر وبناء، ولا تدفع شيئاً عن نفسها فشبهها جل وعلا بالمطية الذلول التي لا تمنع صاحبها من ركوبها، ولا تخالف في شيء مما يراد بها ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ قيل: مناكبها جبالها وقيل: شبه الأرض بمناكب البعير، وهو الضعيف فيها والراكب يعتمد عليه عند الركوب، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها فقد أبلغ في استذلالها وطوعها، وقيل: المناكب جوانبها ﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ أي: كلوا مما رزقكم الله، وتنعموا بما أخرج لكم من الأرض، وإليه معادكم، وهو البعث والحشر موضع المجازاة على كل الأعمال، وهو سائلكم عن شكر ما أنعم عليكم ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: أمنتم من هو في السماء وذلك ملائكة العذاب، وهم الباقون في السماء المنتظرون لأوامر الله بأي أمر إما عذاب أو غير ذلك، ويجوز أن يراد من في السماء أمره، ويجوز أن يراد الله الذي هو في السماء إله كما هو في الأرض إله، وهو ذو العزة والسلطان ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ﴾ أي: يعذبكم بخسف أو بحاصب ﴿ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ أي تذهب بكم الأرض حتى تصبروا في بطنها وهو الخسف الحقيقي، فإذا هي تمور بكم تذهب بكم ذهاباً، وتهبط بكم في بطنها.

﴿ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ والحاصب الرمي بالحجارة، يقال: حصبه أي رماه بالحصباء، ومعناه ما تقدم، والاستفهام في الموضعين بمعنى الإنكار، أي كيف تأمنون، وغضب الله شديد، وهو القادر على أن يعذبكم بأنواع من العذاب، فلا ينبغي أن يأمن الإنسان لحظه واحدة كما قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] ومكره هو عذابه، فلا يأمن المؤمن الخسف أو الرمي بالحجارة كما رمي القوم المبطلون.

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أي: ستعلمون الإنذار الذي على لسان رسله وقد

بلغوكم فهناك إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: الأمم السابقة الذين قد مضوا وحل بهم العقاب بسبب تكذيبهم وقد رأيتم.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: كيف حل بهم من التغييرات، والعقوبات، وما وقع بهم من النقم لما اجترؤوا عليه من المخالفات والتكذيب، ثم كرر جل وعلا الاحتجاج على المكذبين بالتنبيه على بعض قدراته فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ أي: لم ينظروا إلى الطير في الهواء وهي باسطات اجنحتها، وتسكنها وهي تطير في الهواء، والصف تسكين الأجنحة وهي تطير.

﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ وهو الضرب بها وتحريكها من أعلى إلى أسفل، وكل ذلك حالة طيران، ويقال له: الخفق، ويخفض بها، ومع ذلك كله قال: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي: إلا الله جل وعلا بقدرته، وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى أجسامهن على كل شكل، وخصائص ما يمسكهن إلا الرؤوف ذو الفضل والإحسان ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ أي: يعلم كيف يخلق وكيف يدبر الخلق ويعلم بالمناسبات، وبكل جسم بما يليق به، فسبحانه من مدبر حكيم، عليم، وبصير بمعنى عليم ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الاستفهام هنا توبيخي، أي من هو الجند الذي يمنع الرحمن وينصركم إن نزل بكم العذاب من (دون الرحمن)، أي ينصركم ويمنعكم منه ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ أي: مغرورون، أي غرهم الشيطان، فصاروا في غرور، أي غرهم الشيطان فتمادوا في باطلهم، ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ وهذا الاستفهام كالأول أي خارج مخرج التوبيخ أي: أفلا ينظرون ويتفكرون، ويتأملون إن أمسك رزقه عنكم من هو الذي يأتيكم بالرزق، من هو الذي ينزل من السماء ماء، ويخرج من الأرض نباتاً فلن يأتي أحد بعده، ﴿ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ بل بمعنى قد عند بعضهم أي قد لجو وهو البقاء على الباطل، في عنود وتكبر وإعراض، عن الله والنفور الإعراض والصدود وعدم الإقبال على الحق، والتمادي في الفسق بل تمادوا في

العناد والصدود، والتباعد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوا ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ ﴾ كب فانكب، وقشع فانقشع، من أفعال المطاوعة، بمعنى قبل الانكباب، ودخل فيه، يمشي معتسفا بمعنى التعسف وهو المشي في غير طريق فيعثر كثيراً على وجهه منكباً، فحاله نقيض حال من يمشي سوياً، أي: قائماً سالماً من العثور، والخرور على وجهه، وهو خلاف المتعسف، ويجوز أن يراد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف، فلا يزال ينكب، والمراد الاستفهام، وإيضاح الفرق بين من يمشي مكباً على وجهه وبين من يمشي سوياً، وقوله (أهدى) أي: من أهدى منهما لسلوك طريق الحق، الطريق الواضح، وقابله بقوله: ﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ والفرق واضح، وأن الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى من المتخبط، الذي يمشي كالأعمى، لا يهتدي إلى الصراط السوي المستقيم ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله الذي خلقكم وجعل لكم السمع والأبصار لتتفكروا بذلك وتشكروا الله، فأنتم أيها المشركون لم تتفكروا، ولم تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم وركب فيكم السمع والأبصار، لتسمعوا وتبصروا ما هو المواقع، لتشكروا الذي أعطاكم هذا فيجب أن تستعملوا الأسماع والأبصار فيما يدلكم على الشكر، ومعنى (قليل ما تشكرون)، بمعنى العدم ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ كذلك هذا احتجاج عليهم، لأن الله الذي ذرأكم أي: خلقكم كما يخلق النبات بعد أن يلقى فيه البذر وبعد ذلك إليه تحشرون، وتبعثون، وترجعون بعد موتكم إلى المحشر الذي يحشر الناس فيه، ثم أخبر سبحانه بما يقول، الكافرون ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: متى هذا الوعد الذي توعدون إنكار منهم، لوعد الله وأنه ليس هناك شيء، مما يخبر الله به، فاتوا به إن كنتم صادقين فيما تقولون، ثم أمر نبيه، أن يرد العلم في ذلك إليه فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: علم الغيب وما تستعجلونه وتطلبونه إن شاء عجله وإن شاء أخره ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ وإنما أنا منذر ومحذر مبين لكم

الحق، ومبلغ برسالة ربي لا آتيكم بعذاب لأن هذا شيء إلى الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الضمير في رأوه يعود إلى الوعد في قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: قريباً وهي حال أي رأوه حال كونه زلفة، أي ذا زلفة، أو مكان زلفة: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيل: أسودت، وقيل: عليها كآبة وغشيها الكسوف والقترة، وكلحوا كما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو إلى بعض العذاب، وعذاب النار أشد وأشد، فتسود الوجوه، ويعلوها قترة، كما قال الله تعالى: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] أو نزل بهم، السوء أي نزل بهم السوء والبلاء، ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: الذي كنتم تطلبونه وتستعجلونه، وقيل: من الدعوى أي هذا الذي تدعون أنه لا يجيء أي تدعون أنكم لا تبعثون ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال في الكشاف: كان كفار أهل مكة يدعون على رسول الله ﷺ بالهلاك عليه وعلى المؤمنين، فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون إحدى الحسنيين، إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة، أو نرحم بالنصرة والإدانه للإسلام، كما نرجوه فأنتم ما تصنعون من تجبركم وأنتم كافرون من عذاب النار، لا بد لكم منها، يعني أنكم تطلبون الهلاك الذي هو إستعجال للفوز والسعادة، وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون، أو إن أهلكنا بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم ما أمره به من التسليم والإقرار، به والتوكل عليه ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لنأمن من عقابه باتباع، طاعته والإعراض عن معصيته وعليه اتكالنا، واعتمادنا وبه اكتفينا، فلا نتوكل إلا عليه، وذلك لأن تقديم المعمول وهو عليه يقتضي الاختصاص كأنه قال لا نتوكل إلا عليه لا غيره ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾، يقول جل وعلا: قل لهم يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي تصبحون وقد صار ماؤكم غائراً، ذاهباً قد غار في الأرض، نزل وساح حتى ذهب، فمن يرجعه لكم، أو يأتيكم بماء معين ظاهراً

معايناً، وقيل المعين الكثير وقيل: اسم للماء العذب فهل تعلمون أن أحداً يأتيكم به غير الله الذي ينزله من السماء إلى الأرض فيسكنه فيها رزقاً لكم وحياة لكم ولأنعامكم أفلا تعقلون، ولا تفهمون، ، وكم من دلائل وحجج قد أوردها الله تعالى على الكافرين إبلاغاً للحجة، وتتميماً للمعذرة، وكل هذا من فضل الله ونعمه ومنته وفواضل قسمه، أن يكرر الحجة، ويوضح الطريق لمن أراد الهدى.

ولله الحمد كثيراً، بكرة وأصيلاً

خاتمة

وبهذا تم تفسير الجزء الثاني، بحمد الله وعونه وله الحمد على ما أعطى وله الشكر على ما أعان وأولى.

١٩/ شهر الحجة الحرام/ ١٤٢١هـ.

بمحل الهجرة بجدة المملكة العربية السعودية.

فصلى الله على محمد وآله وسلم.

ونسأله سبحانه أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

الفقير إلى عفو الله تعالى

صلاح بن أحمد فليته

وفقه الله وغفر له ولوالديه وللمؤمنين. . . آمين

الفهرس

المقدمة ٥
تفسير سورة الفاتحة ٧
تفسير سورة الناس ١٠
تفسير سورة الفلق ١٢
تفسير سورة الإخلاص ١٤
تفسير سورة تبت ١٦
تفسير سورة النصر ١٨
تفسير سورة الكافرون ٢٠
تفسير سورة الكوثر ٢١
تفسير سورة الماعون ٢٣
تفسير سورة قريش ٢٥
تفسير سورة الفيل ٢٦
تفسير سورة الهمزة ٢٨
تفسير سورة العصر ٣٠
تفسير سورة التكاثر ٣١
تفسير سورة القارعة ٣٣
تفسير سورة العاديات ٣٥
تفسير سورة الزلازل ٣٧
تفسير سورة البينة ٣٩
تفسير سورة القدر ٤١
تفسير سورة العلق ٤٣
تفسير سورة التين ٤٦
تفسير سورة الشرح ٤٨
تفسير سورة الضحى ٥٠

تفسير سورة الليل ٥٢
تفسير سورة الشمس ٥٥
تفسير سورة البلد ٥٧
تفسير سورة الفجر ٦٠
تفسير سورة الغاشية ٦٥
تفسير سورة سبح ٦٨
تفسير سورة الطارق ٧١
تفسير سورة البروج ٧٤
تفسير سورة الانشقاق ٧٧
تفسير سورة المطففين ٨٠
تفسير سورة الانفطار ٨٤
تفسير سورة التكوير ٨٧
تفسير سورة عبس ٩٠
تفسير سورة النازعات ٩٣
تفسير سورة عم ٩٧

الجزء الثاني

تفسير سورة المرسلات ١٠١
تفسير سورة الإنسان ١٠٥
تفسير سورة القيامة ١١١
تفسير سورة المدثر ١١٥
تفسير سورة المزمل ١٢٠
تفسير سورة الجن ١٢٥
تفسير سورة نوح ١٣٠
تفسير سورة المعارج ١٣٤
تفسير سورة الحاقة ١٣٨
تفسير سورة القلم ١٤٣
تفسير سورة الملك ١٥٠
خاتمة ١٥٨